إتلاف المؤلفين مكتبهم في التراث العربي

د. محمد عبدالجواد الباسع(*)

أولاً- المقدمة المنهجية

١ - مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في قيام بعض المؤلفين في التراث العربي على مدار العديد من القرون بإتلاف مؤلفاتهم بأنفسهم، أو بوصية منهم، وغير معروف يقينًا حجم هذه الظاهرة، ولا هوية المؤلفين الذين قاموا بذلك.

٢ - أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في إعطاء صورة حقيقية - أو أقرب للحقيقة - لظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم، وإيضاح معالم وملابسات ومبررات تلك الظاهرة.

٣ - أهداف الدراسة

الهدف الأساس لهذه الدراسة هو إيضاح حجم ظاهرة إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم، وحصر المؤلفين الذين أتلفوا أو أوصوا بذلك، ومعرفة هوياتهم، وتحديد مبررات وطرق إتلافهم.

٤ - تساؤلات الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة على سؤال عام، هو: من الذين أتلفوا مؤلفاتهم بدافع من أنفسهم؟ كم عددهم؟ وما هوياتهم ومبرراتهم؟ وما الطريقة التي استخدموها في الإتلاف؟

يستلزم للإجابة على هذا السؤال الإجابة على عدة تساؤلات، هي:

١ - متى بدأت هذه الظاهرة؟ وفي أي الفترات الزمنية بلغت ذروتها؟ ومتى تلاشت واختفت؟

٢ - ما المبررات التي كانت دافعًا لإتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم؟

٣ - ما الطرق التي استخدمها المؤلفون في الإتلاف؟

٤ - ما التخصصات العلمية للمؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم؟

(*) مدرس بقسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة بنها.

٥ - ما بلدان أو جنسيات المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم؟

٦ - هل كان للمؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم نفس القدر والشأن، أم أنهم اختلفوا في قدرهم وشأنهم؟

٧ - هل توقفت الحياة العلمية للمؤلف بعد إتلافه مؤلفاته، أم عاد لها مرة أخرى؟

٥ - حدود الدراسة

يقتصر هذا البحث على دراسة حالات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم وكتبهم في التراث العربي بدافع من أنفسهم، منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن الخامس عشر الهجري، سواء فعلوا ذلك بأنفسهم أو أوصوا بذلك، ومن ثم لن تتعرض الدراسة لحالات إتلاف السلطة للكتب، سواء تمثلت هذه السلطة في الحاكم أو المجتمع أو العادات والتقاليد، أو بسبب الاضطهاد المذهبي، أو بسبب الفتن الداخلية أو الحروب الخارجية، أو نتجت عن الحوادث والكوارث والعوامل الطبيعية والإهمال وغيرها، كما أنها لن تتعرض لإتلاف المؤلفين لكتب غيرهم.

٦ - مجتمع الدراسة

وفقًا لحدود الدراسة أمكن حصر ست وستين حالة لإتلاف المؤلفين لكتبهم، موزعة على مدى أربعة عشر قرنًا، بدءًا من القرن الأول الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري، موزعة على سبع دول، وثمانية تخصصات علمية، رتبتهم وفقًا لتاريخ وفاتهم، وهم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)، وعبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، وعروة ابن الزبير (ت٩٤هـ)، وأبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، ومحمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وداود بن نصير الطائي (ت١٦٢هـ)، وعاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، وهشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)، ومطلب بن زياد الكوفي (ت١٨٥هـ)، وعيسى بن يونس السبيعي (ت١٨٨هـ)، وعلي بن مسهر (ت١٨٩هـ)، وعطاء بن مسلم الخفاف (ت١٩٠هـ)، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ)، وعبد العزيز بن عمران (ت١٩٧هـ)، والحسن بن رودبار (ت٢٠١هـ)، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ)، ومحمد ابن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ)، وأبو صالح محمد بن

المهذب (ت٢١١هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ)، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ)، وبشر بن الحارث (ت٢٢٧هـ)، وزيد بن المبارك الصنعاني (ت٢٣٠هـ)، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ)، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ)، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ)، ومحمد بن يحيى الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وأحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ)، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ)، وعبد الله بن محمد المقدسي (ت٣١٣هـ)، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ)، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ)، وأحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ) وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٣٦٨هـ)، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ)، وعلي بن طلحة بن كردان (ت٤٢٤هـ)، وعلي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٦٧هـ)، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ)، وأبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ)، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ)، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ)، وشميم الحلي (ت٦٠١هـ)، ومحيي الدين أبو زكريا النووي (ت٦٧٦هـ)، وصدر الدين بن الوكيل (ت٧١٦هـ)، أحمد بن يحيى بن أبي حجلة (ت٧٧٦هـ)، وإبراهيم بن أحمد بن الغرس (ت٨٨٨هـ)، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

٧ - منهج الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج التاريخي لتحديد ظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم، ومعرفة نشأتها، والكشف عن أسبابها ومبرراتها، وجمع المعلومات حولها وتحليلها للإجابة على تساؤلات الدراسة، وتحقيق أهدافها.

٨ - إجراءات الدراسة

مرّت الدراسة بالمراحل التالية لإنجازها بفضل الله تعالى:

١ - حصر وقائع الإتلاف التي تقع ضمن حدود الدراسة من مصادرها الأصلية، ككتب التراجم، والتاريخ، والسير، وغيرها.

٢ - تحقيق اسم وتاريخ وفاة من أتلف كتبه، كي لا يختلط بغيره.

٣ - الحصول على أكثر من ترجمة من أكثر من مصدر لهذا المؤلف، وتجميعها في كيان واحد، للوصول لترجمة متكاملة عن هذا المؤلف، لرسم صورة أكثر وضوحًا لملامح شخصيته، وحياته العلمية، وأقواله، وأقوال غيره عنه.

٤ - قراءة تحليلية للتراجم التي أعدَّها الباحث عن كل مؤلف، للإجابة على تساؤلات الدراسة.

٩ - الدراسات السابقة

من خلال البحث في أدلة الإنتاج الفكري المختلفة، وسؤال أهل التخصص لم يصل الباحث لدراسة أكاديمية مستقلة عن موضوع الدراسة، وهذا لا يعني عدم وجود كتابات حول هذا الموضوع، فقد كانت البداية لتناول هذا الموضوع عبارة عن فكرة متضمنة في كتب "تاريخ الكتب والمكتبات"، كما في كتاب "لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات"[١] للأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي، إذ عرض سيادته لهذا الموضوع في الفصل الخاص بتاريخ الكتب والمكتبات عند المسلمين، فذكر بداية التدوين وازدهار حركة التأليف عند المسلمين، وكثرة المؤلفات، والشغف بالقراءة، والإنفاق على الكتب بسخاء. ثم عرض متعجبًا لظاهرة إتلاف بعض المؤلفين المسلمين لكتبهم، قائلاً: "ولكن الشيء الغريب حقًا إلى جانب هذا الاهتمام الشديد بالكتب ظاهرة إقبال بعض المؤلفين وجامعي الكتب على إحراق كتبهم بالنار أو غسلها بالماء أو دفنها في باطن الأرض"[٢] ثم ذكر ثماني حالات للإتلاف، أعقبها بذكر ثلاثة مبررات لذلك.

كما تعرض الأستاذ الدكتور شعبان خليفة[٣] لهذا الموضوع في كتابه "الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم والشرق الأقصى" عند حديثه عن مصائر الكتب الإسلامية ضمن الفصل العاشر، تحت فكرة "دفن وغسل وحرق الكتب"، قائلا: "انتشر بين العلماء المسلمين - وغيرهم أحيانًا - عادات في غاية الغرابة وسلوكيات غير مفهومة في التعامل مع الكتب؛ وهي سلوكيات الإقدام على حرق ودفن وغسل الكتب"[٤]، وذكر عشر حالات لإتلاف المؤلفين لكتبهم، سبقها بذكر ثلاثة مبررات لذلك.

كذلك تناول الأستاذ الدكتور يحيى وهيب الجبوري[٥] - الأستاذ بجامعة آل البيت الأردنية - في كتابه "الكتاب في الحضارة الإسلامية" بعض حالات إتلاف المؤلفين

(١) عبد الستار عبد الحق الحلوجي: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ ، الصفحة ؟

(٢) المرجع السابق. ص٤٢ ، الصفحة؟

(٣) شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم والشرق الأقصى. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧ ، الصفحة؟

(٤) المرجع السابق، ص٢٥٢ .

(٥) يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ ، الصفحة؟

لكتبهم، بدأها بذكر إتلاف عروة بن الزبير لكتبه، قائلاً: "وأما بالنسبة للكتب العربية فأقدم ما وصل إلينا من حرق الكتب كتب عروة بن الزبير"[١]، وأخذ يعدد حالات الإتلاف حتى أوصلها إلى سبع عشرة حالة، في الفصل السابع تحت عنوان: "آفات الكتب".

ومع بداية الألفية الثالثة بدأت الكتابات المستقلة حول هذا الموضوع - فيما أعلم - إذ جمع أحمد الباتلي[٢] - الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - أربعاً وخمسين واقعة لإتلاف الكتب، منها اثنتان وثلاثون واقعة لإتلاف المؤلفين لكتبهم، في كتاب بعنوان: "علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار"، ولم يزد المؤلف على ذكر وقائع الإتلاف مختصرة، ولم يتعرض لها بالدراسة والتحليل، وإنما اكتفى بذكر أسباب إحراق العلماء لكتبهم في صفحة واحدة في أول كتابه.

وكتبت فوزية الجلال[٣] مقالاً من صفحة واحدة بعنوان "الكتب وفكر الإبادة" عرّجت فيه على إعدام هولاكو لمكتبات بغداد والشام، وحريق مكتبة الإسكندرية في القرن الأول الهجري، وتدمير الصليبيين لمكتبات بلاد الشام، ولم تتعرض فيه لتدمير المؤلفين لكتبهم.

وألّف ناصر الحزيمي[٤] كتاباً بعنوان "حرق الكتب في التراث العربي: مسرد تاريخي"، وهو يشكل سجلاً لكثير من عمليات إتلاف الكتب في التاريخ العربي، وقد اقتصر المؤلف في كتابه على نوعين للإتلاف، أولهما "إتلاف السلطة للكتاب، وثانيها "الإتلاف الشخصي للكتب"، وأكبر فصول الكتاب الفصل الذي حمل عنوان: "العلماء الذين اتلفوا كتبهم"، حيث ذكر سبعًا وثلاثين حالة إتلاف، وأورد أربع طرق لإتلاف الكتب، وهي الحرق، والدفن، والغسل، والتقطيع، وأرجع مبررات ذلك لثلاثة مبررات: علمية أو اعتقادية أو نفسية.

كما ظهرت كتابات اقتصرت على بعض المؤلفين الذين أتلفوا كتبهم، منها: دراسة الأستاذ عدنان الشمري[٥] بعنوان: "لماذا أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه"، تناول فيها

---

(١) الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص٢٩٩ .

(٢) أحمد بن عبد الله الباتلي. علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار. - الرياض: دار طريق، ٢٠٠٢ .

(٣) فوزية محمد الجلال: الكتب وفكر الإبادة. أحوال المعرفة. س ٨، ع ٣٠ (سبتمبر ٢٠٠٣). ص ٥٢ .

(٤) ناصر الحزيمي: حرق الكتب في التراث العرب: مسرد تاريخي. كلونيا (المانيا): منشورات دار الجمل، ٢٠٠٣ .

(٥) عدنان الشمري: لماذا أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه. الفيصل. - ع ٣٤٨ (يوليو/ أغسطس ٢٠٠٥) . - ص٣٠ .

حادثة إحراق أبي حيان التوحيدي لكتبه، موضحًا الأسباب التي دفعته لذلك.

وأول دراسة أكاديمية تناولت هذا الموضوع كانت رسالة ماجستير بعنوان: "مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري"[١] ذكرت وسام الزغبي اثنين وعشرين مؤلفًا أتلفوا كتبهم، قسَّمتهم وفق مبررات خمسة، هي: الندم على الانشغال بها عن عبادة الله، والخوف من أن تضل الكتب أصحابها، والخوف أن توضع الكتب في غير مواضعها، والضن بها على من لا يستحقها، ولنقص فيها أو لعارض بدا له. ويُلاحظ على هذه الدراسة أنها مختصرة، كما أنها اقتصرت على الفترة الزمنية من القرن الثالث حتى القرن الثالث عشر الهجري، في حين أن حالات الإتلاف في الفترة التي لم تغطها الحدود الزمنية للدراسة أكثر من حالات الإتلاف التي تقع ضمن حدودها، كما أنها لم تتناول بالدراسة طرق وبلدان والتخصصات العلمية لمن أتلف كتبه، ولم تتعرض أيضًا لمدى رجوع المؤلفين لحياتهم العلمية بعد الإتلاف.

مما سبق يتضح أن دراسة الباتلي مختصرة ومقتصرة على ذكر وقائع الإتلاف فقط، وأن دراسة فوزية الجلال لم تتعرض لذكر إتلاف المؤلفين لكتبهم، ودراسة الحزيمي عبارة عن سرد تاريخي لحالات إتلاف المؤلفين لكتبهم، كما أن عدد الحالات التي ذكرها لم تصل إلى نصف عدد الحالات التي حدثت، ومن ثم فهي مختصرة مقتصرة على السرد، وأما دراسة وسام الزغبي فهي الدراسة الأكاديمية الوحيدة التي تعرضت لدراسة إتلاف المؤلفين لكتبهم، إلا أنها لم تغط كامل الحدود الزمنية للظاهرة، كما أنها أتت مختصرة، ولم تتعرض لهويات من أتلف، كل ذلك كان مبررًا لإجراء الباحث للدراسة حول هذا الموضوع.

١٠ - مكونات الدراسة

تكونت الدراسة من عشرة عناصر رئيسة، هي: أولاً - المقدمة المنهجية، ثانيًا- المؤشرات الزمنية لظاهرة إتلاف المؤلفين المسلمين لكتبهم، ثالثًا- مبررات الإتلاف، رابعًا- طرق الإتلاف، خامسًا- التخصصات العلمية لمن أتلف كتبه، سادسًا- بلدان

(١) وسام منير عبد الرحمن الزغبي: مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري. إشراف: شعبان عبد العزيز خليفة، محمود عباس حمودة. رسالة ماجستير في تخصص الآداب قسم المكتبات. - جامعة الأزهر. كلية الدراسات الإنسانية. قسم الوثائق والمكتبات. شعبة المكتبات ٢٠٠٧. رسالة مجازة غير منشورة.

المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم، سابعًا- قدر وشأن من أتلف كتبه، ثامنًا- مدى توقف الحياة العلمية للمؤلفين الذي أتلفوا، تاسعًا- نتائج الدراسة، عاشرًا- دراسات مقترحة، وأخيرًا- قائمة المصادر والمراجع.

ثانيًا- المؤشرات الزمنية لظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم

"لم تُعنَ أمة من الأمم بالكتاب عناية العرب والمسلمين به، فقد أحبوا الكتاب وافتخروا بتأليفه واقتنائه وصونه"[١]، وقد بدأ اهتمام المسلمين بالكتاب مبكرًا؛ إذ "بدأت التآليف العربية تخرج إلى حيز الوجود قبل أن ينتصف القرن الأول الهجري،... ولا نكاد نصل إلى أوائل القرن الثاني حتى نجد الكتب قد كثرت وشاعت بين الناس،... ولقد شهد هذا القرن بداية حركة التدوين، التي تمثلت في جمع الحديث النبوي، ومن بعده المغازي والسير على أساس أنها تخدم النص القرآني وتساعد على فهمه وتقريبه إلى الأذهان، ثم تتابع التأليف في مختلف فروع المعرفة، ولم يلبث العرب أن أحسوا بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم، فظهرت كتب اللغة والشعر والتاريخ،... وبظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء في القرن الثاني بدأ التأليف يتجاوز حدوده القديمة، وأصبح العالم لا يلتزم بموضوع محدد، وإنما يتعرض لأكثر من موضوع ويتناول أكثر من فن من فنون المعرفة،... وقد ظل الإملاء هو الطريقة الشائعة في التأليف طوال القرنين: الثالث، والرابع الهجريين،... وخلال هذين القرنين ازدهت حركة التأليف ازدهارًا رائعًا،... ولم تكن كثرة الكتب وحدها هي التي تلفت النظر في هذا العصر،... ولكن الشيء الذي يسترعي الانتباه حقًا أن كثيرًا من هذه المصنفات كان يقع في مجلدات ضخمة،... والشيء الغريب حقًا أن توجد إلى جانب هذا الاهتمام الشديد بالكتب ظاهرة إقبال بعض المؤلفين على إحراق كتبهم بالنار، أو غسلها بالماء، أو دفنها في باطن الأرض"[٢]؛ فعلى مدار أربعة عشر قرنًا أتلف ستة وستون مؤلفاً مؤلفاتهم أو بعضها[٣].

ففي القرن الأول الهجري ظهرت ثلاث حالات، بما يساوي ٤,٥٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، وتضاعف هذا العدد ثمانية أضعاف في القرن الثاني الهجري، فبلغ ثلاثة وعشرين حالة، بما يساوي ٣٥٪ من حالات الإتلاف، ثم تراجع مؤشر الإتلاف قليلاً في القرن الثالث الهجري، فظهرت سبع عشرة حالة، بما يساوي ٢٧٪ من حالات

(١) يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية. ص٥ .

(٢) عبد الستار عبد الحق الحلوجي: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، ص ٣٤-٤٢ .

(٣) تم ذكر أسماء من أتلف وتاريخ وفاته تفصيلاً في "مجتمع الدراسة".

الإتلاف، وأخذ مؤشر الإتلاف في التراجع؛ إذ سُجلت ست حالات إتلاف في القرن الرابع الهجري، وست حالات أخرى في القرن الخامس الهجري بما يساوي ٩٪ من حالات الإتلاف في كل منهما، ثم تراجع معدل الإتلاف أكثر في القرن السادس الهجري، فسُجلت ثلاث حالات فقط، بما يساوي ٥,٤٪ من حالات الإتلاف، وتراجع معدل الإتلاف أكثر وأكثر، واستقر على نسبة ٣٪ من حالات الإتلاف، إذ تم رصد حالتي إتلاف في القرن السابع الهجري، ومثله في القرن الثامن والقرن التاسع الهجري، أما في القرن العاشر الهجري فلم يسجل سوى حالة واحدة، بما يساوي ٥,١٪ من حالات الإتلاف، وكادت الظاهرة أن تختفي نهائياً؛ إذ اختفت تماماً في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، إلا أنها عاودت الظهور من جديد في القرن الرابع عشر الهجري، فظهرت حالة إتلاف واحدة فيه، ولم تظهر أيُ حالة إتلاف في القرن الخامس عشر[١].

مما سبق يتبين أن أعلى معدل لظاهرة الإتلاف كان في القرن الثاني الهجري بنسبة ٣٥٪، تلاه القرن الثالث بنسبة ٢٧٪؛ إذ سُجِّلَت في هذين القرنين وحدهما أربعون حالة إتلاف من بين ست وستين حالة، أي بنسبة ٦١٪ من حالات الإتلاف، ويفسر ذلك كون القرنين: الثاني، والثالث الهجريين فترة التدوين الذهبية في علم الحديث خاصة، الذي وجدت فيه معظم حالات الإتلاف.

وكما ارتبطت هذه الظاهرة بزيادة المؤلفين، وزيادة المؤلفات، كذلك ارتبطت برغبة المؤلفين الاعتماد على حفظهم وعدم الاتكال على الكتاب، والرغبة في التفرغ للعمل بدلاً من التأليف.

وقد بدأت هذه الظاهرة تختفي منذ القرن الحادي عشر الهجري، بعدما تيقن المؤلفون أن مصلحة وجود مؤلفاتهم تغلب على مفسدة تركها بعد مماتهم، وكذلك بسبب التأثير الإيجابي لمؤلفات وأقوال بعض المؤلفين العظام، أمثال الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، ومن بعده أبو الفرج بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وغيرهما ممن استنكر بقوة إتلاف المؤلف لمؤلفاته؛ فقد قال الإمام أحمد: "لا أعلم لدفن الكتب معنى"[٢]، كما "روى المروزي عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه، فقال: ما يعجبني أن يدفن العلم"[٣]، وقال ابن الجوزي: "وفي الناس من غلب عليه قصر الأمل وذكر الآخرة

(١) أي حتى سنة ١٤٣٣هـ تاريخ انتهاء هذه الدراسة.

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تقييد العلم، ج١، ص٦٣.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: تلبيس إبليس، ج ١، ص ٢٩٠.

حتى دفن كتب العلم، وهذا الفعل عندي من أعظم الخطأ، وإن كان منقولاً عن جماعه من الكبار"[١]، واعتبر ذلك من تلبس إبليس[٢] .

وبهذا يتضح أن ظاهرة الإتلاف بدأت ضعيفة في القرن الأول الهجري، ثم وصلت إلى ذروتها في القرن الثاني والثالث، ثم أخذت في الضعف والتلاشي منذ القرن السابع الهجري، حتى اختفت تمامًا في القرون: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر الهجري.

وفيما يلي دراسة لهذه الظاهرة من حيث مبررات الإتلاف، وطرق الإتلاف، والتخصصات العلمية لمن أتلف، وبلدانهم، وقدرهم وشأنهم، ومدى توقف حياتهم العلمية بعد الإتلاف.

ثالثًا: مبررات الإتلاف

لقد تعددت مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم في التراث العربي؛ وأول هذه المبررات وأكثرها: الرغبة في التفرغ للعبادة، وكان ذلك بنسبة ٢٧٪. ثاني هذه المبررات: الرجوع عما فيها؛ إما لخطأ علمي، أو ندم عما كتبوه، أو لعدم رضاهم عنها، وكانت نسبتهم ٢٠٪. ثالثها: خوفهم من تحريفها بعد موتهم، ونسبة هؤلاء ١٨٪. رابعها: خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، ونسبتهم ١٢٪. خامسها: ضنهم بها على غيرهم، ونسبتهم ٩٪، سادسها: اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها، وكانت نسبة هؤلاء ٦٪. سابعها: الرغبة في عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى، بنسبة ١,٥٪. ثامنها: الإصابة بمرض الاكتئاب، بنسبة ١,٥٪. تاسعها: كلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق، بنسبة ١,٥٪. عاشرها: إرضاء لشيخ آخر ليحدثه، بنسبة ١,٥٪. وأما المبرر الحادي عشر والأخير فقد كان الرغبة في التبرك بدفنها معه.

كما تعددت مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم عبر المراحل الزمنية للحضارة الإسلامية؛ ففي القرن الأول الهجري تمثلت مبررات الإتلاف في: خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، والخوف من تحريفها بعد موتهم، وعدم الرغبة في اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى.

أما مبررات الإتلاف في القرن الثاني الهجري فغلب عليها "الرغبة في التفرغ للعبادة" بنسبة ٣٠٪ من مؤلفي هذا القرن، تلاه "الخوف من الاتكال على الكتاب وإهمال

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

الحفظ" بنسبة ٢٦٪، ثم "الخوف من تحريفها" بنسبة ٢٢٪، وأما "الرجوع عما فيها" فلم يزد عن ٩٪، بينما كانت أقل مبررات الإتلاف في هذا القرن: "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص"، و"الاكتئاب"، و"الضن بها" حيث لم يظفر كل واحد من تلك المبررات إلا بـ٤٪ من مؤلفات هذا القرن. وفي القرن الثالث كان أغلب مبررات الإتلاف "الرغبة في التفرغ للعبادة" بنسبة ٣٥٪، تلاه "الخوف من تحريفها"، ثم "الرجوع عما فيها" بنسبة ٢٣,٥٪ لكل منهما، بينما كان أقلها "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص"، و "كلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق" بنسبة ٦٪ لكل واحد منها. كذلك كان مبرر "الرغبة في التفرغ للعبادة" هو المبرر الغالب على مبررات القرن الرابع بنسبة ٥٠٪، بينما تساوت نسب باقي مبررات هذا القرن، فلم تزد عن ١٦,٥٪، وهذه المبررات هي: "إرضاء شيخ آخر"، و"الرجوع عما فيها"، و"خوف الاتكال على الكتاب". وغلب على مبررات القرن الخامس "الضن بها" بنسبة ٥٠٪، بينما تساوت مبررات "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص"، و"الرغبة في التفرغ للعبادة"، و"الرجوع عما فيها" بنسبة ١٦,٥٪ لكل منها. وأما القرن السادس فغالب من أتلف كان مبرره "الرجوع عما فيها" بنسبة ٦٦٪، وأما مبرر "الضن بها" فكانت نسبته ٣٣٪ فقط. وأما القرن السابع فلم يغلب عليه مبرر معين، إذ كان مبرراته هي "الرجوع عما فيها"، و"الخوف من تحريفها" بنسبة ٥٠٪ لكل منهما. كذلك كانت مبررات الإتلاف في القرن الثامن هي: "الرجوع عما فيها"، و"التبرك بدفنها" بنسبة ٥٠٪ لكل منهما. ومثله القرن التاسع الذي ظهر فيه حالتا إتلاف، مبررهما: "الضن بها"، و"الرغبة في التفرغ للعبادة" بنسبة ٥٠٪ لكل منهما. وأما القرن العاشر فقد ظهرت به حالة إتلاف واحدة، كان مبررها "الرجوع عما فيها". وكذلك القرن الرابع عشر الذي ظهرت فيه حالة واحدة، كان مبرر إتلافها "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص".

وهكذا يتبين أنه لم يغلب مبرر بعينه في حالات الإتلاف في القرون: الأول، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والرابع عشر، بينما كانت "الرغبة في التفرغ للعمل الصالح" هي المبرر الأغلب في القرن الثاني، والثالث، والرابع؛ ففي ذلك الوقت فتحت الدنيا على المسلمين، وانشغل بعضهم بها، مما جعل البعض يرغبون في البعد عن جميع مظاهر الدنيا، ومنها الكتب وفقًا لرؤيتهم، أما في القرن الخامس فكان "الضن بها" هو المبرر الغالب؛ إذ انغمس الناس في الدنيا أكثر، وربما تحول الدافع للتأليف من الرغبة فيما عند الله والدار الآخرة إلى الرغبة فيما عند الناس، فلما ضن الناس على المؤلفين بالعائد المادي ضن المؤلفون على الناس بكتبهم. أما في القرن السادس فقد غلب مبرر "الرجوع عما فيها"؛ بعدما استقرت العلوم وكثرت المؤلفات فيها، وأتيحت الفرصة

للمؤلف لمراجعة مؤلفاته؛ فأدرك بعضهم أن بمؤلفاته أخطاء علمية، فأتلفها رجوعًا عنها.

كما أمكن تقسيم مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم إلى مبررات علمية، تمثلت في الرجوع عما فيها، والخوف من تحريفها بعد مماتهم. ومبررات شرعية تمثلت في الرغبة في التفرغ للعبادة، وعدم الرغبة في اتخاذ كتاب مع كتاب الله، وكلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق، والتبرك بدفنها معه. ومبررات نفسية تمثلت في خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، واتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص لله، والإصابة بمرض الاكتئاب. ومبررات اجتماعية، تمثلت في الضن بها على المجتمع، وإرضاء شيخ آخر ليحدثه.

وفيما يلي عرض مفصل لهذه الظاهرة وأسبابها.

١ - الرغبة في التفرغ للعبادة

وهو شعور اعترى بعض المؤلفين، فرغب في عدم الانشغال بأي شيء عن العمل الصالح لله تعالى حتى لو كان أفنى عمره في إعداد ذلك الشيء وتأليفه، وهذا يحدث أحيانًا في عصرنا هذا ،فبعد أن يصل بعض العلماء لمرحلة عمرية معينة، يتجه الواحد منهم إلى العمل أكثر وأكثر للدار الآخرة، فتجده ينقطع شيئًا فشيئًا عن العمل المجتمعي، ويتجه لذاته، مفكرًا فيما قدمه وما سيقدمه، فينقطع للعبادة إلى حد كبير، ويقل ارتباطه بالدنيا ومظاهرها.

من هذا المنطلق بلغ عدد المؤلفين الذين أتلفوا كتبهم بدافع الرغبة في التفرغ للعمل الصالح ثمانية عشر مؤلفًا بنسبة ٢٧٪، وهم: أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، ومحمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ)، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)، والمطلب بن زياد الكوفي (ت١٨٥هـ)، وعطاء بن سلم الخفاف (ت١٩٠هـ)، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ)، والحسن بن رودبار (ت٢٠١هـ)، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ)، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ)، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ)، أحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٤٧هـ)، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ).

وقد صرح اثنان من المؤلفين بأنهم لم يعودوا بحاجة إلى كتبهم ولا كتب غيرهم، فقد أدت الكتب الهدف منها، وهو - في رأيهم- الدليل إلى الله تعالى، فرأوا أنهم بعد أن

وصلوا إلى الهدف، لم تعد هناك حاجة إلى الوسيلة. أولهما أحمد بن أبي الحواري، وهو "أحد العلماء الزهاد المشهورين، والعباد المذكورين، والأبرار المشكورين، ذوي الأحوال الصالحة، والكرامات الواضحة"(١). "حمل كتبه إلى البحر فغرقها، وقال: يا علم، لم أفعل بك هذا استخفافاً، ولكن لما اهتديت بك استغنيت عنك"(٢)، وأثر عنه قوله: "نعم الدليل كنت لي على الله وإليه، ولكن الاشتغال بالدليل بعد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال"(٣).

والثاني أبو بكر الشبلي الذي خاطب كتبه قبل أن يتلفها قائلاً "نعم الدليل أنتم، ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال"(٤). "وهو أحد شيوخ الصوفية المعدودين وزهادهم الموصوفين"(٥). وقد وصفه ابن فرحون بأنه "شيخ الصوفية، وإمام أهل علم الباطن، وذو الأنباء البديعة والإشارات الغريبة، وأحد المتصرفين في علوم الشريعة"(٦).

على شاكلتهما كان خمسة مؤلفين، هم: محمد بن يوسف بن معادن، وسلم بن ميمون الخواص، وأحمد بن محمد الخلال، وأبو سعيد بن أبي الخير، وعبد الله الإلهي، فهؤلاء الخمسة كانوا من المتصوفة الذين يرون الزهد في كل شيء حتى العلم الشرعي، ويزعمون أنهم يهتمون بعلم الباطن الذي لا يُحصل عليه بالكتب، وإنما يُحصّل من اللوح المحفوظ والملأ الأعلى عن طريق المشاهدة والمجاهدة. وهذا الأمر خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يعارضه جبريل القرآن، وخلاف ما كان عليه الصحابة الذين كانوا يتذاكرون من بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وخلاف ما كان عليه التابعون وتابعو التابعين ومن تبعهم ممن كانوا يضربون أكباد الإبل طلبًا للعلم ومدارسته.

هؤلاء الخمسة لم يعودوا بحاجة إلى كتبهم - من وجهة نظرهم- فأتلفوها؛ فأما محمد بن يوسف بن معادن فقد "دفن كتبه، وأقبل على التوحد والتعبد، وآثر الخمول

(١) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤ .

(٢) الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء،ج١٢، ص٨٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨ .

(٤) الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي: تفسير روح البيان، ج٢ ، ص٤٢١ .

(٥) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ج٦٦ ، ص٥٠ .

(٦) ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المالكي: الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ج١، ص٦٣.

واتباع منهج رسول الله، وابتغى الدنو والوصول"[١].

وأما سلم بن ميمون الخواص فهو "من عباد أهل الشام وقرائهم ممن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن حفظ الحديث"[٢]. "وهو في عداد المتصوفة الكبار، وليس الحديث من عمله"[٣]، واشتهر بالزهد، وقال عنه ابن حجر: "سلم بن ميمون الخواص الزاهد"[٤].

وأما أحمد بن محمد الخلال فقد "كان يتصوف ويرمي بالحديث"[٥]، وأما أبو سعيد بن أبي الخير "لما بلغ السادسة والعشرين من عمره سمع في يوم من الأيام درساً لأبي علي يدور حول قول الله تعالى "قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يعلبون" ما كاد يسمع هذه الآية حتى فتح في قلبه باب الإيمان، وكأنما انتزع من نفسه، فجمع كتبه كلها وأحرقها، ثم آوى إلى ركن في بيته، وجلس فيه سبع سنين يذكر فيها اسم "الله". ولقد كان تكرار لفظ الجلالة عند الصوفية المسلمين سبيلاً محببة إلى الفناء، ويقصدون به انتقال الصوفي عن نفسه في حال وجده"[٦]، وأما عبد الله الإلهي الصوفي الحنفي فقد اشتغل بالعلوم الظاهرة، ثم غلبت عليه داعية الترك فقصد حرق كتبه"[٧].

وستة آخرون من المؤلفين تم الاستدلال على رغبتهم في التفرغ للعمل الصالح كمبرر لإتلاف كتبهم من خلال سيرتهم وأقوال معاصريهم، وهم: أبو عمرو بن العلاء الذي وصفه ابن العماد الحنبلي بأنه "أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وأيام العرب"[٨]، ووصفه السيوطي بأنه "النحوي، المقرئ، أحد القراء السبعة المشهورين...، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة...، وكان من أشراف العرب ووجهائها"[٩]، "وكان إذا دخل رمضان لم ينشد بيتًا حتى ينقضي"[١٠]، ثم تنسك فأحرق

(١) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهرانى: تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٧٠.

(٢) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج١، ص٢٣١.

(٣) الجرجاني، أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص٣٢٨

(٤) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد. لسان الميزان، ج٣ ، ص٦٤.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٤، ص٢٩٠.

(٦) ديورانت، ول دايريل: موسوعة قصة الحضارة، ج١٤، ص ٨٠.

(٧) ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٣٥٧، ٣٥٨.

(٨) المرجع السابق، ج١، ص٢٣٧.

(٩) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص٢٣١.

(١٠) ابن العماد: شذرات الذهب، ج١، ص٢٣٧.

مؤلفاته[١]؛ أي أن رغبته في العبادة كانت مبرر إتلاف كتبه.

وثانيهم محمد بن عبيد الله العرزمي الكوفي، الذي قال عنه ابن سعد: "كان قد سمع سماعًا كثيرًا وكتب ودفن كتبه"[٢]، وتفرغ للعمل الصالح، حتى اشتهر بذلك، وقال عنه وكيع "كان العرزمي رجلاً صالحًا"[٣].

وثالثهم ضيغم بن مالك وهو "أبو بكر الراسبي، البصري، الزاهد، العابد ,أخذ عن التابعين...، قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت مثله في الصلاح والفضل، وقال ابن الأعرابي في طبقات النساك: "كان من المجتهدين في العبادة، وكان ورده في اليوم والليلة أربعمائة ركعة، وصلى حتى بقي راكعاً لا يقدر على السجود فوقع، وقال: قرة عيني، ثم خر ساجداً. حكاها عنه سيار بن حاتم. وقال القواريري: رأيت ندىً في موضعين، فقال لي رجل: هذا والله من عيني ضيغم البارحة"[٤]، وكان من الخائفين البكائين"[٥]، قال علي بن المديني: "كان ضيغم قد دفن كتبه، وكان ينام ثلث الليل ويتعبد ثلثيه"[٦]. ومن ذلك يتبين أنه أتلف كتبه ليتفرغ لعبادة ربه أكثر، فلما دفنها أصبح ينام ثلث الليل ويتعبد ثلثيه، وأصبح ورده في اليوم والليلة أربعمائة ركعة. بل إنه كان على استعداد أن يتخلص من كل شيئ حتى نفسه، رغبة في الوصول لرضا ربه، فأثر عنه قوله: "لو أعلم أن رضاه أن أقرض لحمي، لدعوت بالمقراض فقرضته"[٧].

ورابعهم عطاء بن مسلم الخفاف "محدث، كوفي، سكن حلب"[٨]، "كان شيخًا صالحًا، يشبه بيوسف بن أسباط، وكان دفن كتبه"[٩]، وقد أتلف يوسف بن أسباط كتبه بدافع التفرغ لعبادة الله، وقال "لا يصلح قلبي عليها"[١٠]، فأساس الشبه بينهما الصلاح، وكذلك مبررات إتلاف كليهما لكتبه[١١].

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٤٠٨.
(٢) ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٨.
(٣) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٢٨٧.
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج٤، ص٨٦٧.
(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، ص١٣٩.
(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٨٦٧.
(٧) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص٣٥٧.
(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٩٢٤.
(٩) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم : الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٣٦
(١٠) العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٧٤ .
(١١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ص٣٩٩.

وخامسهم حماد بن أبي أسامة، "أبو أسامة، الكوفي، أحد الأئمة الأثبات اتفقوا على توثيقه، وكان "أعلم الناس بأمور النار وأخبار أهل الكوفة...، وكان ثبتًا ما كان أثبته، لا يكاد يخطئ"(١)، "وحكى عنه سفيان بن وكيع قال: كان أبو أسامة يتتبع كتب الرواة فيأخذها وينسخها، فقال لي ابن نمير إن المحسن لأبي أسامة يقول إنه دفن كتبه"(٢)، ويبدو أنه دفن كتبه للانقطاع للتعبد، فقد اشتهر بعبادته وتنسكه، حتى قال عنه ابن عمار: "كان أبو أسامة في زمن الثوري يعد من النساك"(٣).

وسادسهم "مؤمل بن إسماعيل القرشي، العدوي، أبو عبد الرحمن البصري، نزيل مكة"(٤)، وهو "من رجال الحديث"(٥)، "قال أبو حاتم: صدوق، شديد في السنة، كثير الخطأ"(٦)، وكثر خطؤه لأنه أتلف كتبه لينقطع للعبادة، فحدث بعد أن أتلف كتبه؛ قال ابن رجب "مؤمل بن إسماعيل، فقد دفن كتبه، ثم حدّث بعد، فدخل الوهم في حديثه"(٧)، وقال ابن عمار: "فأما المؤمل، فكان قد دفن كتبه، وكان يحدث حفظًا فيخطئ الكثير"(٨)، ومبرر إتلافه لكتبه الرغبة في التفرغ للعمل الصالح، وقد وصفه ابن قانع بأنه "صالح يخطئ"(٩).

وصرح أربعة آخرون من المؤلفين بمبرر إتلافهم لكتبهم، لكونها تشغلهم عن الله تعالى، وهم يريدون التفرغ الكامل لله وحده، ولا يستطيعون الجمع بين الكتب وبين التفرغ للعبادة، وهؤلاء هم: المطلب بن زياد الكوفي، وهو "صاحب سنة وخير"(١٠)، و"محدث جليل"(١١)، "تحول من الكوفة إلى قرية تقال لها سحلبون بين أنطاكية وحلب،

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣.
(٢) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩.
(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣.
(٤) المزي: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي: تهذيب الكمال، ج٢٩، ص١٧٦.
(٥) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي: الأعلام: (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ج٧، ص٣٣٤.
(٦) الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج٢، ص٣٠٩.
(٧) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ج١، ص٥.
(٨) ابن عمار، أبو الفضل محمد بن أبي الحسين ابن عمار الشهيد: علل الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم ابن الحجاج، ج١، ص٢٥.
(٩) الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد: نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، ج١، ص٣١٧ .
(١٠) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٢٨٢.
(١١) الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري اليمني: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١، ص٣٧٩.

فآواه أبو أسامة إلى قريته، دفن كتبه وقال لا يصلح قلبي عليها"[١].

ويوسف بن أسباط "صاحب سنة وخير"[٢]، "كان رجلاً صالحاً"[٣]، "عابداً "[٤]، "ومن جُلّة الزهاد بالشام"[٥]، أتلف كتبه، وصرح بمبرر الإتلاف، حيث "قال: لا يصلح قلبي عليها"[٦].

والحسن بن رودبار، "كوفي، ثقة، دفن كتبه، وقال: لا يصلح قلبي على الحديث"[٧].

وأبو سليمان الداراني، هو "عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، العنسي، الداراني، من أهل داريا، وهي ضيعة إلى جنب دمشق، كان أحد عباد الله الصالحين، ومن الزهاد المتعبدين، ورد بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، فأقام بداريا حتى توفى"[٨]، وهو "أستاذ أحمد بن أبي الحواري، له الكلام المتين، والأحوال السنية، والرياضات، والسياحات"[٩]. قال أبو سليمان "اختلفت إلى مجلس قاص، فأثّر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي شيئ، فعدت ثانياً، فسمعت كلامه، فبقي في قلبي كلامه في الطريق ثم زال، ثم عدت ثالثاً فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، وكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق[١٠]. وكان يقول: "كل ما شغلك عن الله من أهل ومال أو ولد فهو عليك مشئوم"[١١]، قال أحمد بن الحواري: "رأيت أبا سليمان حين أراد أن يلبي غشي عليه، فلما أفاق، قال: بلغني أن العبد إذا حج فقال لبيك، قيل له: لا لبيك ولا سعديك حتى تطرح ما في يديك"[١٢]. وصرح أبوسليمان الداراني أنه ما أقدم على إتلاف كتبه إلا لكونها شغلته عن الله، حتى كادت تكون سبباً في عذابه بالنار، فقال وهو يضرم النار في كتبه: "والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك"[١٣]، أي أنك كدت تكونين

(١) العجلي: معرفة الثقات، ج٢ ، ص٢٨٢ .
(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٤.
(٣) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص ٢١٨.
(٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٩، ص٢١٨.
(٥) المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي: مختصر الكامل في الضعفاء، ج١، ص٨٠١.
(٦) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٧٤.
(٧) المرجع السابق، ج١، ص٢٩٤ .
(٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤ ، ص١٢٢ .
(٩) المرجع السابق، ج٣٤، ص١٢٤.
(١٠) المرجع السابق، ج٣٤، ص١٢٥.
(١١) المرجع السابق، ج٣٤، ص١٢٩.
(١٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء،.ج ١٠، ص١٨٥.
(١٣) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة، ج ٩، ص١٦.

سبباً في عذابي بالنار لكوني انشغلت بك عن الله تعالى.

فهؤلاء الأربعة صرحوا بأنهم لا يتفرغون للعبادة تفرغاً كاملاً حتى تتفرغ قلوبهم من كل شيء، ولا تتفرغ قلوبهم حتى يتخلصوا من كتبهم التي قد يفكرون بما فيها.

ومؤلف آخر توصل في نهاية حياته إلى أن الكتب من الممكن أن تشغل عن عبادة الله، فخاف على ابنه من ذلك، فأوصاه "بأن يجعل مكتبته طعمة للنار"[١]، و"قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار"[٢]، هذا المؤلف هو "الحسن بن عبد الله بن المرزبان، القاضي، أبو سعيد السيرافي ولي قضاء بغداد، وسكن الجانب الشرقي"[٣]، وهو "شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة، معرفة بالنحو، والفقه، واللغة، والشعر، والعروض، والقوافي، والقرآن، والفرائض، والحديث، والكلام، والحساب، والهندسة، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ، ولا عثر له على زلة، وقضى ببغداد، هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة، صام أربعين سنة أو أكثر، الدهر كله"[٤].

مما سبق يتبين أن اثنين من المؤلفين أتلفا كتبهما لأنهما لم يعودوا بحاجة إليها؛ إذ أنها قد دلتهم على الله، وقال أحدهم: نعم الدليل كنت لي على الله، وهما: أحمد بن أبي الحواري، وأبو بكر الشبلي، وخمسة من المؤلفين أتلفوا كتبهم بسبب تصوفهم الذي دعاهم إلى الزهد في كل شيئ حتى العلم الشرعي، وهم: محمد بن يوسف بن معادن، وسلم بن ميمون الخواص، وأحمد بن محمد بن إسماعيل الخلال، وأبو سعيد بن أبي الخير، وعبد الله الإلهي.

وستة من المؤلفين لم يكونوا من المتصوفة، وإنما رغبوا في التفرغ للعبادة بعد طلب العلم فأتلفوا كتبهم، واستدل على ذلك من خلال سيرهم وأقوالهم وأقوال معاصريهم، وهم: أبو عمرو بن العلاء، ومحمد بن عبيد الله العرزمي الكوفي، وضيغم بن مالك، وعطاء بن مسلم الخفاف، وحماد بن أبي أسامة، ومؤمل بن إسماعيل القرشي.

---

٧١ المرجع السابق، نفسه.

٧٢ الحموي، أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٢، ص١٤٦.

٧٣ الفيروزابادي، محمد بن يعقوب: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص١٦.

٧٤ الغزي الحنفي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١ ، ص٢٢٩.

وصرح أربعة مؤلفين بأنهم لا يستطيعون التفرغ لعبادة الله مع وجود كتبهم، وتضافروا على تلك المقولة: "لا يصلح قلبي عليها"، وهم: المطلب بن زياد الكوفي، ويوسف بن أسباط، والحسن بن رودبار، وأبو سليمان الداراني.

ومؤلف خاف على ابنه من أن تشغله كتبه عن الله، فأوصاه "بأن يجعل مكتبته طعمة للنار إن شغلته"، وهو أبو سعيد السيرافي.

وهكذا اتفق هؤلاء الثمانية عشر مؤلفًا على أن رغبتهم في التفرغ لعبادة الله هي مبرر إتلاف كتبهم، فهل هذا أمر يقره الدين ويؤيده؟

يردّ ابن الجوزي على من قال: إن الكتب تشغلني عن العبادة، بأن هذا مردود من ثلاثة أوجه: "أحدها أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات، والثاني أن اليقظة التي وقعت لك لا تدم، فكأني بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات، واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها، بل تصدأ وتحتاج إلى جلاء، وجلاؤها النظر في كتب العلم...، والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب، فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامك، أو بعتها وتصدقت بثمنها"[١].

ويرى ابن الجوزي أن إتلاف المؤلف لكتبه بدافع التفرغ للعمل من تلبيس إبليس، فقال: "كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم، ثم لبس عليهم إبليس، وقال ما المقصود إلا العمل، ودفنوا كتبهم"[٢]، ويرى أن ذلك من خفي مكائد الشيطان، ويقول: "وإن من خفي مكائد الشيطان أنه يزيد في نفس الإنسان التعبد ليشغله عن أفضل التعبد وهو العلم"[٣]؛ وذلك لأن "العلم نور، وأن إبليس يحسّن للإنسان إطفاء النور، ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل، ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب، فربما استدلوا بذلك على مكايده - حسَّن لهم دفن الكتب وإتلافها، وهذا فعل قبيح محظور، وجهل بالمقصود بالكتب"[٤]. "وهذا من خفي حيل إبليس، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، وإنما فعل وذلك لسببين أحدهما أنه أرادهم يمشون في الظلمة، والثاني أن تصفح العلم كل يوم يزيد في علم العالم، ويكشف له ما كان خَفِيَ عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكه، خصوصًا إذا تصفح مناهج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة، فأظهر أن المقصود العمل، لا

(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص٢٩٠.
(٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٨٨.
(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ج١، ص٣٠.
(٤) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص٢٨٩.

العلم نفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل، ما حذر من هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم والنور الأكبر، وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو"[١].

وخلاصة الأمر أنه لا بد من العلم والعمل معًا حتى تتم العبادة والسعادة، فـ"السعادة الأبدية لا تتم إلا بالعلم والعمل، ولا يعتد بواحد منهما بدون الآخر، وإن كلاً منهما ثمرة الآخر"[٢].

٢ - الرجوع عما فيها

أتلف ثلاثة عشر مؤلفًا - بما يساوي ٢٠٪ من مجتمع الدراسة - مؤلفاتهم أو بعضها لأنهم رجعوا عما كتبوه فيها؛ خمسة منهم أتلفوها لوجود أخطاء علمية بها وهم: سفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وعبد العزيز بن عمران (ت١٩٧هـ)، والشافعي (ت٢٠٤هـ)، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ). وخمسة آخرون أتلفوها ندمًا منهم على ما كتبوه، وهم: أبو صالح محمد بن المهذب (ت١٢١١هـ)، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ)، وأبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ)، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ)، وصدر الدين ابن الوكيل (ت٧١٦هـ). وثلاثة أتلفوا مؤلفاتهم لعدم رضاهم عنها، وهم: أحمد بن الطيب(ت٢٨٦هـ)، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ)، وشميم الحلي (ت٦٠١هـ).

أما الذين أتلفوا كتبهم رجوعًا عما فيها لوجود أخطاء علمية بها، فأولهم "سفيان ابن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، الإمام، الحافظ، أبو عبد الله، الكوفي، أحد الأئمة الأعلام"[٣]، و"أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد زمانه في علوم الدين والتقوى"[٤]، وهو "رجل صالح زاهد عابد، ثبت في الحديث، فقيه، صاحب سنة واتباع، وكان من أقوى الناس بكلمة شديدة عند سلطان يتقى"[٥]، وكان "من سادات أهل زمانه فقهًا وورعًا وحفظًا وإتقانًا، شمائله في الصلاح والورع أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في ذكرها"[٦]، "وكان قد أوصى إلى عمار بن سيف وكان ابن أخته بكتبه ليمحوها

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ج١، ص٣١.
(٢) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، ص ٥٢.
(٣) ابن حجر: لسان الميزان، ج٧، ص٢٣٣.
(٤) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٠٤.
(٥) العجلي: معرفة الثقات، ج١، ص٤٠٧.
(٦) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٠٢.

ويدفنها"[١]، "فأنفذ وصيته، فمحاها ثم أحرقها"[٢]، وقد نقل الذهبي عن الأصمعي قوله: "وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم"[٣]، ويبدو أن هذه الأشياء التي كتبها وندم عليها هي أحاديث ضعيفة؛ بدليل قول ابن الملقن: " وكان ندم على أشياء كتبها عن الضعفاء"[٤]، كتبها سفيان وهو يعلم أنها أحاديث ضعيفة، وقد كان يكتبها؛ لأنه كان يحب أن يجمع الحديث: صحيحه، وضعيفه، "وقال: حملني عليها شهوة الحديث"[٥]، قال سفيان الثوري: "إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه، حديث أكتبه أريد أن اتخذه دينًا، وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به"[٦]، فلما كبر لم يستطع التمييز بين الأنواع الثلاثة فأتلفها كلها "فكأنه لما عسر عليه التمييز بين الصحيح وغيره، أوصى أن تدفن كلها"[٧].

وثانيهم "عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف"[٨]، وهو "ضعيف الحديث، لا يعتمد على روايته"[٩]، " لم يستحق الدخول في جملة الثقات، فكان الغالب عليه الشعر والأدب دون العلم"[١٠]، و" كان صاحب نسب، ولم يكن من أصحاب الحديث"[١١]، ورغم أنه كان صاحب شعر، وصاحب نسب، إلا أنه كتب الأحاديث، ونظرًا لأن الحديث ليس من عمله، فلم يعرف صحيحها من ضعيفها ولم يميز بينهما، فأتلفها جميعًا. ولعله أدرك أن بعض الأحاديث التي كتبها منكرات، فقد كان "يروي المناكير عن المشاهير"[١٢]، أو لعله أدرك أن "منكر الحديث، لا يكتب حديثه"[١٣]، فأتلف الأحاديث التي كتبها، و"أحرق كتبه"[١٤].

وثالثهم "يحيى بن يحيى، بن بكر بن عبد الرحمن، شيخ الإسلام، و عالم خراسان،

---

(١) ابن حيان: الثقات، ج ٦، ص ٤٠٢.
(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، ج٤، ص٧١.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٦١.
(٤) ابن الملقن، سراج الدين حفص عمر بن على احمد المصري: طبقات الأولياء، ج١، ص٥.
(٥) المرجع السابق، نفسه.
(٦) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص ٧٦.
(٧) ابن الملقن: طبقات الأولياء، ج١، ص٥.
(٨) البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٢٣.
(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٢، ص ٥٢١.
(١٠) ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٢٧٠.
(١١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٦، ص٣١٣.
(١٢) ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٢٧٠.
(١٣) البخاري: الضعفاء الصغير، ج١، ص٧٨.
(١٤) ابن شبة، أبو زيد عمر النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٨٠.

أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري الحافظ، كتب ببلده وبالحجاز والعراق والشام ومصر، وهو إمام لأهل الدنيا"[١]، دفن كتبه، بدليل ما نقله صاحب النكت على مقدمة ابن صلاح، حيث قال: " جماعة دفنوا كتبهم، منهم: محمد بن يحيى، وإسحاق بن راهويه ويحيى بن يحيى، وعبد الله بن المبارك"[٢]، ومبرر دفنه لكتبه رجوعه عما كتبه، لأنه شك فيه؛ قال الإمام أحمد بن حنبل: "كنا نسميه يحيى الشكاك، من كثرة ما كان يشك في الحديث، يعني أنه كان كلما توقف في كلمة أبطل سماعه لذلك الحديث، ولم يروه"[٣]، "فإنه إذا شك في حديث أرسله، هذا في بدء أمره، ثم صار إذا شك في حديث تركه"[٤]، فيبدو أنه في أواخر عمره شك في أحاديثه كلها فرجع عنها، وأتلف كتبه.

ورابعهم "محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الشافعي، "ولد بالشام بغزة وقيل باليمن، وحمل إلى مكة فسكنها، وتردد على الحجاز والعراق وغيرهما، ثم استوطن مصر وتوفي بها ...، كان صاحب سنة وأثر وفضل مع لسان فصيح وعقل رصين صحيح...، قال أحمد بن حنبل: كان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان للعلم كالشمس للدنيا والعافية للناس"[٥].

"قلت (أي النووي) ليس القول القديم مذهبًا له (أي للشافعي) فإنه غسل كتبه القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها، هكذا نقل عنه أصحابه"[٦]، وقال فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي: "هذا في القديم، وليس القول القديم مذهبًا، فإنه غسل كتبه القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها"[٧].

وقد أتلف الشافعي كتبه القديمة، لأنها كانت أقل إحكامًا، فرجع عنها، يدل على ذلك إجابة الإمام أحمد بن حنبل حينما سأله أحد طلابه عن كتب الشافعي القديمة، "أحمد ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أهي أحب إليك، أم التي بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي عملها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك"[٨].

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٢.
(٢) ابن بهادر، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله الزركشي الشافعي المصري: النكت على مقدمة ابن الصلاح، ج٣ ، ص٥٦١.
(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٥٤.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٥.
(٥) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص١٥٦-١٥٨.
(٦) العيني، بدر الدين أبو محمد بن أحمد: عمدة القارى شرح صحيح البخاري، ج١٦، ص ٤٩٠.
(٧) الزيلعي، فخر الدين عثمان بن على الحنفي: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ج٤، ص١٤٢.
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٥.

وخامسهم "جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن ساق الدين السيوطي، الشافعي، المسند، المحقق، المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة...، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ,رجالاً وغريبًا ومتنًا وسندًا واستنباطًا للأحكام منه"(١)، يقول عن نفسه: "ورُزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع"(٢)، ثم يقول بعد ذلك "وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه"(٣).

وهكذا كان مبرر هؤلاء الخمسة هو الرجوع عما فيها لتيقنهم أو لتوهمهم بوقوع أخطاء علمية بها.

وخمسة مؤلفين آخرون أتلفوا كتبهم توبةً منهم وندمًا عما كتبوه فيها؛ وهم: " أبو صالح محمد بن المهذب الساطعي التنوخي المعري، كان إماماً في الأدب وقول الشعر"(٤)، إلا أنه ترك قول الشعر، وأتلف ما كتبه من الشعر، رجوعًا عنه، وتوبة منه؛ يدل على ذلك ما قاله ابن ماكولا: "أدركته وقد نسك، وترك قول الشعر، وخرق ديوانه، ولازم منزله ومسجده"(٥).

و"محمد بن علي بن المطلب، أبو سعد، كان قد قرأ النحو واللغة والسير والآداب وأخبار الأوائل وقال شعرًا كثيرًا"(٦)، وهو "الأديب الأوحد، الكرماني، ثم البغدادي، الشاعر، والد الوزير الصاحب أبي المعالي هبة الله بن المطلب"(٧)، إلا أنه ترك قول الشعر رجوعًا عنه وتوبة منه، "وقال شعرًا كثيرًا، إلا أنه كان كثير الهجوم، ثم مال عن ذلك، وأكثر الصوم والصلاة والصدقة وروى الحديث...، وغسل مسودات شعره، وأحرق بعضها بالنار"(٨)، و" قال هبة الله السقطي: أخذت عنه، ثم تاب، وألهم الصلاة والصوم والصدقة، وغسل مسودات شعره، رحمه الله"(٩).

(١) السيوطي: العَرْفُ الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي، ج١، ص٤٧-٤٩ .
(٢) السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١، ص١١٠ .
(٣) المرجع السابق، ج١، ص١١١.
(٤) ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج٧، ص ٢٤٤.
(٥) المرجع السابق، نفسه.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص ٢٤.
(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.
(٨) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص٢٤.
(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩١.

وأبو غالب الذهلي، وهو "شجاع بن فارس بن حسين بن فارس بن حسين بن غريب ابن بشير، الإمام المحدث، الثقة الحافظ المفيد، أبو غالب الذهلي، السهروردي، ثم البغدادي الحريمي"[١]، و"كان يورق للناس"[٢]، و"نسخ بخطه كثيرًا من التفسير والحديث والفقه ما لم ينسخه أحد الوراقين"[٣]، "وكان مفيد أهل بغداد، والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ وأحوالهم بعد الخطيب أبي بكر، وكان ثبتًا ثقةً أمينًا فهمًا أديبًا"[٤]، و"نسخ ما لا يدخل تحت الحصر من التفسير والحديث والفقه للناس، حتى أنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات"[٥]، وقد ندم على ذلك، وأراد التوبة، " قال عبد الوهاب الأنماطي: دخلت يومًا (أي على أبي غالب الذهلي)، فقال لي: توبني، فقلت: من أي شيء؟ قال: كتبت شعر ابن الحجاج بخطي سبع مرات"[٦]، ويبدو أن شيخه أفتاه بإتلاف ما كتب من الشعر، فأتلفه فعلاً، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك وأتلف كتبًا أخرى ألفها؛ فلقد "عمل مسودة لتاريخ بغداد ذيلاً على تاريخ الخطيب، فغسله في مرض موته"[٧]، و"شرع في تتميم تاريخ الخطيب، ثم غسله، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة"[٨]، فلعله فعل ذلك مبالغة في التوبة.

و"محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية أحمد الأموي، صدر الدين بن الوكيل...، ولد بدمياط وقيل بأشمون...، تفقه بأبيه...، وتقدم في الفنون، وفاق الأقران وقال الشعر فلم يتقدمه فيه أحد من أبناء جنسه، وأتى فيه بالمرقص والمطرب"[٩]. وقال الصفدي: "وكان فيه لعب ولهو، ومع ذلك فحكى لي عنه جماعة ممن صحبه ونادمه في خلواته أنهم إذا فرغوا من حالهم قام وتوضأ ولبس قماشًا نظيفًا وصلى وبكى ومرّغ وجهه على الأرض والتراب، وبكى حتى بلّ لحيته بدموعه، واستغفر وسأل الله التوبة والمغفرة...، وكان إذا مرض غسل ديوانه"[١٠]، ويبدو أنه كان يفعل ذلك رجوعًا عما كتبه من باب التوبة.

---

(١) المرجع السابق، ج١٩، ص٣٥٥.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦.
(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص٢٧.
(٤) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ج١، ص٢٩٨.
(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص١٦.
(٦) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص٢٧.
(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٥٦.
(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١٧.
(٩) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، ص٥٦-٦٠ .
(١٠) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص٣٧٣.

وآخرهم: "إبراهيم بن عثمان بن محمد بن محمد، أبو إسحاق الغزي، من أهل غزة...، وكان أحد فضلاء الدهر، ومن يضرب به المثل في صناعة الشعر، وكان له خاطر مستحسن، وشعر مليح...، وترك قول الشعر، وغسل كثيرًا منه، وقال في إيضاح مبررات إتلافه:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي مغلق"(١).

وفي هذا البيت عبّر عن مبررات إتلافه لشعره، فلا باعث عليه، ولا فائدة منه، "وكان يقول: إني لأرجو أن يعفو الله عني ويرحمني"(٢). أتلف هؤلاء الخمسة كتبهم توبةً منهم، وندمًا عما فيها.

وثلاثة آخرون أتلفوا مؤلفاتهم رجوعًا عنها لعدم رضاهم عما كتبوه فيها، وهم: "أحمد بن الطيب بن مروان الخراساني السرخسي، ويعرف بابن الفرانقي"(٣)، " ولي الحسبة ببغداد، وكان موضعه من الفلسفة لا يُجهَل، وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الأخبار"(٤)، "وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف"(٥)، " وكان نديمًا للمعتضد، وخصيصًا به قبل الخلافة وبعدها، ثم غضب عليه"(٦)، " أحمد لأنه أحمد كان قديمًا يمدح عناده الفلاسفة ويستعقلهم ويحكي مذاهبهم، فيقول المعتضد: أنت على دينهم، وكيف لا تكون كذلك وأستاذك الكندي؟ وكان قد تخمر في نفس المعتضد أنه فاسد الدين"(٧)، ثم قتله بعد ذلك، "وقيل إن السبب في قتله أن أحمد بن الطيب دعاه إلى مذاهب الفلاسفة، والخروج عن الإسلام، فاستحل قتله"(٨)، فلما علم ا أحمد بن الطيب بنية المعتضد أتلف جميع كتبه الفلسفية، أو "زعم أنه أحرق كتبه كلها إلا الحديث والفقه واللغة والشعر(٩)، رجوعًا عما فيها، وكأنه يريد أن يخبر المعتضد أنه فعل ذلك بمؤلفاته الفلسفية لعدم رضاه عما فيها، و"قال... ما عندي سوى كتب الفقه والحديث، فلما خرج قال المعتضد: والله إني لأعلم أنه زنديق، فعل ما زعم

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥-١٦ .
(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص١٦
(٣) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص ٢٦٤.
(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ، ج٢، ص١٥٢.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٤٩.
(٦) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص ٢٦٤.
(٧) المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٦ .
(٨) المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٧ .
(٩) المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٨ .

رياء"[١]، وهكذا أتلف أحمد بن الطيب كتبه في الفلسفة ليوهم المعتضد أنه ما عاد يرضى عما فيها، رجاء أن يعفو عنه.

وثاني الثلاثة هو "محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار، أبو بكر، قاضي الموصل، ويعرف بابن الجعابي"[٢]، قال عن نفسه: " دخلت الرقة فكان لي ثَمَّ قمطر من كتب، فأنفذت غلامي إلى ذلك الرجل الذي كتبي عنده، فرجع الغلام مغمومًا، فقال: ضاعت الكتب، فقلت: يا بني لا تغتم، فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل علي منها حديث لا إسنادًا ولا متنًا"[٣]. ويؤكد معاصروه ذلك بقولهم: "ما شاهدنا أحفظ من أبي بكر الجعابي، وسمعت من يقول إنه يحفظ مائتي ألف حديث، ويجيب في مثلها، إلا أنه يفضل الحفاظ بأنه كان يسوق المتون بألفاظها، وأكثر الحفاظ يتسمحون في ذلك، وكان يزيد عليهم بحفظ المقطوع والمرسل والحكايات، ولعله يحفظ من هذا قريبًا مما يحفظ من الحديث المسند، وكان إمامًا في المعرفة بعلل الحديث وثقات الرجال ومعتلهم وضعفائهم وأساميهم وأنسابهم وكناهم ومواليدهم وأوقات وفاتهم ومذاهبهم وما يطعن به على كل أحد، وما يوصف به من السداد"[٤].

إلا أن حال ابن الجعابي قد تغيَّر؛ " قال الحاكم: قلت للدارقطني: بلغني عن ابن الجعابي أنه تغير عما عهدنا، قال: وأي تغير؟! قلت: بالله هل اتهمته؟ قال: إي والله؛ ثم ذكر أشياء، فقلت: وصح لك أنه خلط الحديث؟ قال: إي والله، قلت: حتى خفت أنه ترك المذهب؟ قال: ترك الصلاة والدين"[٥]، "ورُمي بالشرب والتهاون في الصلاة"[٦]، "وحُكي عنه قلة دين وشرب خمر"[٧]. وسبب هذا الانقلاب في حياته أنه "صحب قومًا من المتكلمين، فسقط عند أهل الحديث"[٨]، وأنه تأثر بشيخه ابن عقدة، الذي "أخذ عنه علم الحديث، وشيئًا من التشيع أيضًا"[٩]، فأصبح لابن الجعابي "مذهب خاص في التشيع"[١٠]، حتى أنه لما "وصل إلى مصر ودخل إلى الإخشيد، ثم مضى إلى دمشق

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٤٩.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٦.
(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص٣٧.
(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٧.
(٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٩٤.
(٦) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣١١.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٦.
(٨) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٩٤.
(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٦.
(١٠) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣١١.

فوقفوا على مذهبه، فشردوه، فخرج هاربًا"[١].

هذا التغير جعله غير راضٍ عما كتبه من الأحاديث، فرجع عنها، وأتلف كتبه في آخر يوم من حياته؛ قال الدارقطني: "أُخبرت بعلة أبي بكر الجعابي، فقمت إليه في الوقت، فأتيته فرأيته يحرق كتبه بالنار، فأقمت عنده حتى ما بقي منها بينة، ثم مات من ليلته"[٢].

وأما ثالثهم فهو "علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلي، أبو الحسن، النحوي، اللغوي، الشاعر، قدم بغداد، وبها تأدب، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر،... مات بالموصل عن سن عالية"[٣]. و"قال أبو شامة: كان قليل الدين، ذا حماقة ورقاعة"[٤]، و"كان ذا تيه وحمق ودعاوٍ كثيرة تزري بكثرة فضائله...، وكان جم الفضيلة، إلا أنه كان بذيء اللسان، كثير الوقوع في الناس، متعرضًا لثلب أعراضهم، لا يثبت لأحد في الفضل شيئاً"[٥].

قال ياقوت الحموي: "وكان من العلم بمكان مكين، واعتلق من حباله بركن ركين، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزنًا، ولا يعتقد لأحد فضيلة، ولا يقر لأحد بإحسان في شيء من العلوم، فحضرت عنده وسمعت من لفظه ازدراءه على أولي الفضل، وتنديده بالمعيب عليهم بالقول والفعل، فلما أبرمني وأضجر، وامتد في غيه وأصحر، قلت له: أما كان فيمن تقدم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك قط مجيد؟ فقال: لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال: المتنبي في مديحه خاصة، ولو سلكت طريقه لما برز علي، ولسقت فضيلته نحوي ونسبتها إلي. والثاني ابن نباتة في خطبه، وإن كانت خطبي أحسن منها، وأظهر عند الناس قاطبة وأشهر. والثالث ابن الحريري في مقاماته. قلت: فما منعك أن تسلك طريقته وتنشئ مقامات تخمد بها جمرته وتملك بها دولته؟ فقال: يا بني، الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولقد أنشأتها ثلاث مرات، ثم أتأملها فأسترذلها، فأعمد إلى البركة فأغسلها"[٦]، فكان إتلافه لمقاماته لعدم رضاه عن جودتها.

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣ ، ص٩٤ .

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨ ، ص٨٩ .

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢ ، ص٤٣ .

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٤ ، ص٢٧٤ .

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥ ، ص٤ .

(٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢ ، ص٢٦٣ .

وهكذا أتلف ثلاثة عشر مؤلفًا مؤلفاتهم إما لوجود أخطاء علمية بها، أو لندمهم عما كتبوه فيها، أو لعدم رضاهم عنها، إلا أن الرابط بين هؤلاء الثلاثة عشر هو الرجوع عما في مؤلفاتهم.

٣ - الخوف من تحريفها بعد موتهم

تحريف المؤلفات بعد موت مؤلفيها أمر وارد، جعل المؤلفين "يصبون جام غضبهم ولعناتهم على من يحرف في كتابه أو ينهبه أو ينسبه لنفسه أو لغيره، أو يطمس معالمه، سواء من النساخين أو من المؤلفين"[١]؛ مثال ذلك ما جاء بكتاب "مروج الذهب" للمسعودي، ما نصه: "فمن حَرَّفَ شيئًا من معنى هذا الكتاب، أو أزال ركنًا من مَبْنَاه، أو طَمَسَ واضحة من معانيه، أو لَبَّسَ شاهرة من تراجمه، أو غَيَّره، أو بَدَّله، أو انتحله، أو اختصره، أو نسبة إلى غيرنا، أو أضافه إلى سوانا، أو أسقط منه ذكرنا، فوافاه من غضب اللّه وسرعة نقمته وفَوَادح بلاياه ما يعجز عنه صَبْرُه، ويَحَار له فكره، وجعله اللّه مُثْلَةً للعالمين، وعبرة للمعتبرين، وآية للمتوسمين، وسلبه اللّه ما أعطاه، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مُبْدِعُ السموات والأرض، من أيِّ الملل كان أو الآراء، إنه على كل شيء قدير، وقد جعلنا هذا التخويف في أول كتابنا هذا وآخره، وكذلك نقول في سائر ما تقدم من تصنيفنا، ونظمناهُ من تأليفنا، فليراقب امرؤ ربه، وليحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمسافة قصيرة، وإلى اللّه المصير"[٢].

هذا الخوف دفع اثني عشر مؤلفًا - يمثلون ١٨٪ من مجتمع الدراسة - إلى إتلاف مؤلفاتهم، وقد أشار الذهبي إلى وقوع مثل ذلك بقوله: "فعل هذا بكتبه من الدفن والغسل والإحراق عدة من الحفاظ خوفًا من أن يظفر بها محدث قليل الدين، فيغير فيها، ويزيد فيها، فينسب ذلك إلى الحافظ، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام"[٣]، وقال في موضع آخر: "هذا قد فعله غير واحد بالغسل، وبالحرق، وبالدفن، خوفًا من أن تقع في يد إنسان واهٍ، يزيد فيها أو يغيرها"[٤]، ولم يذم أو يقدح من فعل ذلك من العلماء، بل التمس لهم العذر، بقوله: "كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا، ويود أن ينجو كفافًا"، أي يخاف من أن تُحرَّف كتبه بعد موته، فيتحمل هو

(١) شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى (الشرق المسلم والشرق الأقصى)، ص٧٦ .

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج٢ ، ص٢١٦ .

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٩٦ .

(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٢١٣

أوزار تحريفها"[١].

ولمثل ذلك أشار الخطيب البغدادي أيضًا، بقوله: "وكان غير واحد من المتقدمين إذا حضرته الوفاة أتلف كتبه أو أوصى بإتلافها، خوفًا من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم، فلا يعرف أحكامها، ويحمل ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسوبًا إلى كاتبها في الأصل، وهذا كله وما أشبهه قد نقل عن المتقدمين الاحتراس منه"[٢]. وأضاف ابن حجر العسقلاني بُعدًا آخر لذلك المبرر، هو أن هؤلاء العلماء أتلفوا كتبهم لأنهم يرون عدم جواز رواية كتبهم بالوجادة، بل يرون أن من فعل ذلك وجب تضعيفه. و"سئل ابن حجر عن قوم أتلفوا كتبهم "فقال: لم يكونوا يرون أنه لا يجوز لأحد روايتها لا بالإجازة ولا بالوجادة، بل يرون أنه إذا رواها أحد بالوجادة يضعف، فرأوا أن مفسدة إتلافها أخف من مفسدة تضعيف بسببهم"[٣].

لهذا المبرر أتلف مؤلفاته عبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، وأبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، وشعبة بن الحجاج(ت١٦٠هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وعيسى بن يونس (ت١٨٨هـ)، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ)، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ)، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ)، ومحمد بن يحيى الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ)، والنووي (ت٦٧٦هـ).

فأما عبيدة السلماني، وأبو قلابة الجرمي، وعيسى بن يونس - فقد أشاروا صراحة إلى أنهم أتلفوا كتبهم خشية تحريفها من بعدهم؛ وأولهم " عبيدة بن عمرو السلماني، أبو مسلم ويقال أبو عمر صاحب ابن مسعود، قال: أسلمت وصليت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنين ولم أره، وهو من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء، وهو من أصحاب علي أيضاً"[٤]، و"قيل عبيدة بن عمرو بن قيس، من مراد، الهمداني من أهل الكوفة"[٥]، وهو "تابعي كبير، مخضرم، فقيه، ثبت"[٦]، ولما حضرته الوفاة دعا بكتبه فمحاها، وذكر مبرر إتلافها قائلاً: "أخشى أن يليها أحد بعدي فيضعوها في غير مواضعها"[٧].

(١) المرجع السابق، نفسه.

(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦١ .

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١ ، ص٣١٤.

(٥) ابن حبان: الثقات، ج٥ ، ص١٣٩ .

(٦) ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، ج١ ، ص ٦٥٤.

(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦١ .

أما أبو قلابة الجرمي فاسمه "عبد الله بن زيد، وكان ثقة كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام...، من الفقهاء ذوي الألباب"(١). وعند موته خاف على كتبه أن تقع في يد إنسان واهٍ، يزيد فيها ويغير؛ ولذا اشترط أن تذهب كتبه إلى أيوب فقط وليس لغيره، وإن لم يكن أيوب حيًا فيجب إتلافها؛ "قال حماد بن زيد: أوصى أبو قلابة قال: ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان حيًا، وإلا فأحرقوها"(٢).

وأما "عيسى بن يونس بن إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي، أبو عمرو، سكن ناحية الشام...، وقدم بغداد وحدث بها...، قال الوليد بن سلم: ما أبالي من خالفني في الأوزاعي ما خلا عيسى بن يونس، فإني رأيت أخذه أخذًا محكمًا،... وقال سليمان بن داود: كنا عند ابن عيينة فجاء عيسى بن يونس فقال: مرحبًا بالفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه...، وقال إسحاق بن راهوية: قلت لوكيع: إني أريد أن أذهب إلى عيسى بن يونس، فقال: تأتي رجلاً قد قهر العلم"(٣). وقد حرّف بعضهم بعض كتبه في حياته؛ قال بشر ابن الحارث: " كان عيسى بن يونس يعجبه خطي، فكان يأخذ القرطاس فيقرأه علي، قال فكتبت من نسخة قوم شيئًا ليس من حديثه، قال: كأنهم لما رأوا إكرامه لي أدخلوا عليه في حديثه، قال: فجعل يقرأ علي ويضرب على تلك الأحاديث، فغمني ذلك، فقال: لا يغمك لو كان واوًا ما قدروا على أن يدخلوه علي، أو قال: لو كان واوًا لعرفته"(٤). ولعل هذه الواقعة هي التي دفعته لإتلاف كتبه، أو ألهم بإتلافها. قال بشر بن الحارث: "سمعت عيسى بن يونس يقول: إني لأهم بها أن أحرقها، يعني كتبه"(٥)، فإذا كان قد حرَّف بعضهم كتبه في حياته، فماذا هم فاعلون بعد موته!؟

وأما عبد الله بن المبارك، ومحمد بن يحيى الذهلي - فقد أشار الحاكم أنهما أتلفا كتبهما خوفًا عليها من التصحيف والتحريف بعد موتهما؛ "قال أبو عبد الله الحاكم: إسحاق، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى- هؤلاء دفنوا كتبهم، وفعله عدة من الأئمة،... فإن الخط قد يتصحف على الناقل، وقد يزاد في الخط حرف فيغير المعنى"(٦).

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧ ، ص١٨٣ .

(٢) المرجع السابق، ص١٨٥ .

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨ ، ص٣١-٣٦ .

(٤) المرجع السابق، ج٤٨ ، ص٣٧ .

(٥) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦٢ .

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٧٧ .

وابن المبارك هو "عبد الله بن المبارك بن واضح، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية،... ارتحل إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن،... قال أبو أسامة: ابن المبارك في المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس،... وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك،... قال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام، اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين، فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه،... كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوسًا في المسجد الحرام، فطلع ابن المبارك من الثنية، فقال سفيان: هذا رجل أهل المشرق، فقال فضيل: رجل أهل المشرق والمغرب وما بينهما"[١].

ومحمد بن يحيى الذهلي، "هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي، الإمام، العلامة، الحافظ، البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان،... وكان بحراً لا تكدره الدلاء،... كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة"[٢]، قال أبوعمرو المستملي: "دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء"[٣].

وأما طاووس بن كيسان، وشعبة بن الحجاج، وإسحاق بن راهوية، ومجاهد بن موسى، و أبو كريب الهمداني، وموسى بن هرون، والنووي- فقد أتلفوا كتبهم بعد أن أدوا ما فيها إلى تلاميذهم، فلم يروا بأسًا في إتلافها، خوفًا من تحريفها بعد موتهم.

و"طاووس بن كيسان، هو أبو عبد الرحمن، من أبناء الفرس، الهمداني، اليماني، الخولاني"[٤]، "وكان رأساً في العلم والعمل، قال عنه عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا مثل

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨ ، ص ٣٨٨، ٣٨٩ .
(٢) المرجع السابق، ج١٢ ، ص٢٧٤ .
(٣) المرجع السابق، ج١٢ ، ص٢٧٨ .
(٤) البخاري: التاريخ الكبير، ج٤ ، ص٣٦٥ .

طاووس"[١]. وهو "أحد الأئمة الأعلام...، من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، حج أربعين حجة، وكان مستجاب الدعوة"[٢]، "أخذ كثيرًا من علم ابن عباس رضي الله تعالى عنه"[٣]، وكان يؤدي هذا العلم إلى طلابه، لكنه بعد أن يؤدي العلم من الصحف، كان يتلفها؛ فكان "إذا اجتمعت عنده الرسائل أمر بها فأحرقت"[٤]. لأنه كان يخشى أن يليها أحد من بعده قليل الدين فيحرفها، فقد كان يرى أن كثيرًا من الناس قد ذهبت منهم الأمانة؛ وكان يقول: "ما تعلمتَ العلم فتعلمه لنفسك، فإن الناس قد ذهبت منهم الأمانة"[٥].

أما شعبة بن الحجاج، فهو " شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام، من أئمة رجال الحديث حفظًا ودراية وتثبتًا، ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، قال الإمام أحمد: هو أمة وحده في هذا الشأن، وقال الشافعي: لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق. وكان عالمًا بالأدب والشعر"[٦]، وقد أوصى ابنه أن يتلف كتبه بعد موته؛ "قال سعد بن شعبة: قال لي أبي: يا بني، إذا أنا مت فاغسل كتبي وادفنها، فلما مات غسلت كتبه ودفنتها"[٧]، ومبرر ذلك أنه قد أدى إلى طلابه كل العلم الذي في كتبه؛ "قال: كان سعد بن إبراهيم يكتب عني الحديث، ما بقى من حديثي شيء إلا كتبه عني"[٨]، فبعد أن أدى ما في كتبه من علم، لم يجد بدًا من إتلافها، فلربما خشي عليها من التحريف والتصحيف بعد موته.

وأما إسحاق بن راهوية، فهو "إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، أبو يعقوب الحنظلي، أحد أئمة الإسلام، رحل إلى العراق، واليمن والشام، وعاد فاستوطن نيسابور، قال محمد بن أسلم الطوسي حين مات إسحاق الحنظلي: ما أعلم أحدًا كان أخشى لله من إسحاق، وكان أعلم الناس، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق"[٩]، "وكان إسحاق من سادات زمانه فقهًا وعلمًا وحفظًا ونظرًا، ممن صنف الكتب وفرع

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١ ، ص٦٩ .
(٢) السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ج١ ، ص ١٤ .
(٣) ابن حجر العسقلاني: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ج١ ، ص٢١ .
(٤) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩ ، ص١٦ .
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥ ، ص٥٤١ .
(٦) الزركلي: الأعلام، ج٣ ، ص١٦٤ .
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦٢ .
(٨) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩ ، ص٢٦٠ .
(٩) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٤ ، ص١١٦ .

السنن، وذبَّ عنها وقمع من خالفها"[١]. قال أحمد بن سعيد الرباطي في بيان فضله "والله لو كان الثوري وابن عيينة والحمادان في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق في أشياء كثيرة"[٢]، وقال إسحاق عن نفسه موضحًا مدى حفظه: "ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده علي"[٣]. "وقال أبو داود الخفاف: أملى علينا إسحاق بن راهوية أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفًا ولا نقص حرفًا"[٤]، وقال إسحاق "كتب عني يحيى بن آدم ألفي حديث"[٥]، و"قال أحمد بن سلمة: سمعت أبا حاتم الرازي يقول ذكرت لأبي زرعة حفظ إسحاق بن راهويه فقال أبو زرعة: ما رئي أحفظ من إسحاق، ثم قال أبو حاتم: والعجب من إتقانه، وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ، فقلت لأبي حاتم: إنه أملى التفسير عن ظهر قلب، قال: وهذا أعجب، فإن ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها"[٦]، وأملى المسند كله من حفظه وأداه إلى طلابه؛ "قال إبراهيم بن أبي طالب الحافظ: فاتني عن إسحاق مجلس من مسنده، وكان يمليه حفظًا، فترددت إليه مرارًا ليعيده، فتعذر، فقصدته يومًا لأسأله إعادته، وقد حملت إليه حنطة من الرستاق، فقال لي: تقوم عندي وتكتب وزن هذه الحنطة، فإذا فرغت، أعدت لك، ففعلت ذلك، فسألني عن أول حديث من المجلس، ثم اتكأ على عضادة الباب، فأعاد المجلس حفظًا، وكان قد أملى المسند كله حفظًا"[٧].

وأما "مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمي، أبو علي الختلي"[٨]، فهو "الزاهد، نزيل بغداد"[٩]. قال الخطيب البغدادي بعد أن ذكر سند واقعة الإتلاف "قال لنا مجاهد ابن موسى، وكان إذا حدَّث بالشيء رمى بأصله في دجلة، فجاء يومًا ومعه طبق، فقال: هذا بقي، وما أراكم تروني بعدها، فحدثنا به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك"[١٠]. والشاهد

(١) ابن حبان: الثقات، ج٨ ، ص ١١٦ .
(٢) المزي: تهذيب الكمال، ج٢ ، ص ٣٨١ .
(٣) المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣٨٤ .
(٤) المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣٨٥ .
(٥) المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣٨٠ .
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٧٣ .
(٧) المرجع السابق، ج١١، ص٣٧٣، ٣٧٤ .
(٨) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٠ ، ص٤١ .
(٩) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥ ، ص١٢٥٦ .
(١٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣ ، ص٢٦٥ .

من هذه الواقعة أنه ما أتلفها إلا بعد أن روى ما فيها، ومن ثم خاف لو تركها بعد موته أن تقع في يد إنسان واهٍ يبدل فيها ويغير، فأتلفها.

وأبو كريب الهمداني، هو "محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي"[١]، الحافظ، الثقة، الإمام، شيخ المحدثين،... قال محمد بن عبد الله بن نمير: ما بالعراق أكثر حديثًا من أبي كريب، ولا أعرف بحديث بلدنا منه، وثقه النسائي وغيره، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: ما رأيت من المشايخ بعد إسحاق أحفظ من أبي كريب"[٢]. وقد أوصى بإتلاف كتبه، وذكر ذلك الذهبي فقال: "قال حطين: أوصى أبو كريب بكتبه أن تدفن، فدفنت"[٣]، ثم علق الذهبي على ذلك بقوله: "فعل هذا بكتبه من الدفن والغسل والإحراق عدة من الحفاظ خوفًا من أن يظفر بها محدث قليل الدين، فيغير فيها ويزيد فيها، فينسب ذلك إلى الحافظ...، فلهذا ونحوه دفن- رحمه الله- كتبه"[٤]. وبالفعل كان أبو كريب قد روى أحاديثه، وأداها؛ "قال موسى بن إسحاق: سمعت من أبي كريب مئة ألف حديث...، وقال ابن عقدة: ظهر لأبي كريب بالكوفة ثلاثمئة ألف حديث"[٥].

وأما موسى بن هارون، فهو "ابن عبد الله، أبو عمران البغدادي، البزاز، الحافظ، كان إمام وقته، حفظ الحديث وعلله، قال أبو بكر الضيعي: ما رأينا في حفاظ الحديث أهيب ولا أورع من موسى بن هرون،... وقال ابن ناصر الدين هو محدث العراق، وكان إمامًا حافظًا حجة"[٦]، وقال أبو الطاهر الجنايدي: "كان موسى بن هرون يقرأ علينا، فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة، ويقول: لقد أديته"[٧]، وبقوله "لقد أديته" اتضح مبرر إتلافه لكتبه.

وأما النووي فهو "أبو زكريا، يحيى ابن الشيخ الزاهد الورع ولى الله أبى يحيى شرف ابن مري، بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام، ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، أوحد دهره وفريد عصره، الصوام، القوام، الزاهد في

(١) البخاري: التاريخ الصغير، ج٢ ، ص ٣٥٥.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٩٤، ٣٩٥ .
(٣) المرجع السابق ج ١١ ، ص٣٩٦ .
(٤) المرجع السابق، نفسه.
(٥) المرجع السابق، ج١١، ص٣٩٥- ٣٩٦ .
(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢ ، ص٢١٧ .
(٧) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١ ، ص٢٨٨ .

الدنيا الراغب في الآخرة"[١]. "جاء في ترجمته أنه إذا أملى اللوح على تلاميذه غمسه في الماء، ثم كتب غيره"[٢]، فلعله يرى أنه قد أدى ما عليه، بإملائه ما في اللوح لتلاميذه، فلا داع لتركها حتى لا يحرفها أحد بعد موته.

هكذا أتلف هؤلاء الاثنا عشر مؤلفًا كتبهم بدافع الخوف عليها بعد مماتهم من أن تقع في يد إنسان واهٍ فيزيد فيها وينقص، وينسب ذلك إليهم.

٤ - خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ

"ظهر في بعض مراحل الحضارة الإسلامية من يركّز على الحفظ، ويشجع عليه، ويحثّ عليه على حساب التسجيل بالكتب، وقد قيل إن العلم في الصدور لا في السطور، وجاء هذا من باب المفاضلة بين الحفظ والكتاب"[٣].

من هذا المنطلق وبدافع الخوف من الاتكال على الكتاب وترك الحفظ أتلف ثمانية مؤلفين كتبهم، وهم يمثلون ١٢٪ من مجتمع الدراسة، وهؤلاء هم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ)، وعاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، وهشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٣٦٨هـ).

ومعلوم أن وجود الكتاب قد يجعل صاحبه يعتمد عليه، ومن ثم تقل ملكة الحفظ عنده أو تضعف. قال إبراهيم النخعي مؤكدًا هذا المعنى: "وقلَّ ما كتب رجل كتابًا إلا اتكل عليه"[٤]، ولذا "نُهِيَ عن الاتكال على الكتاب؛ لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ، حتى يكاد يبطل، وإذا عدم الكتاب قوي لذلك الحفظ الذي يصحب الإنسان في كل مكان"[٥]، بخلاف الكتب التي قد تكون معه أحيانًا ولا تكون معه أحيانًا أخرى، وقد أُثر عن سفيان الثوري قوله: "بئس مستودع العلم القراطيس"[٦]؛ لذا حرص العلماء على تلقي العلم بصدورهم لا بسطورهم، وكان ذلك مصدر شرف واعتزاز للعالم، حتى كان يمدح العالم بدرجة حفظه ومقدار ما يحفظ، وحرص العلماء على ذلك الشرف؛ "قال

---

(١) ابن العطار، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، ج ١، ص٣ .

(٢) أحمد بن عبد الله الباتلي: علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار، ص٤١.

(٣) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها، ص١٩٨.

(٤) القرطبي: جامع بيان العلم، ج١ ، ص١٣٨ .

(٥) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٥٩ .

(٦) المرجع السابق، ج١، ص٥٨ .

الأوزاعي: كان هذا العلم شيئًا شريفًا، إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه ويذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله"[١].

كل ذلك جعل هؤلاء المؤلفين يتلفون ما كتبوه، ليس من باب الإضرار، ولكن حفاظًا على ملكة الحفظ. وأول من فعل ذلك هو مسروق بن الأجدع، وهو "ابن مالك الهمداني، الوادعي، أبوعائشة، تابعي، ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة"[٢]، وهو "الإمام، القدوة، العَلَم...، وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم،... كان أعلم بالفتوى من شريح"[٣]، ومن فضله وعبادته أنه "حج فلم ينم إلا ساجدًا على وجهه حتى رجع، وقالت امرأته عنه إنه "كان يصلي حتى تورم قدماه"[٤]، وقال أحمد بن حنبل في بيان فضل علمه "قال ابن عيينة: بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد"[٥]، وذلك لهمته العالية في طلب العلم، وقال الشعبي في بيان ذلك: "ما علمت أن أحدًا كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق"[٦]، إلا أنه كان يكتب العلم ليحفظه، فإذا حفظه لم يجد مبررًا لبقاء الصحف، فكان يتلفها، ويقول: "إنما أريد أن أحفظها ثم أحرقها"[٧]، حتى لا يتكل على الصحف.

ولنفس المبرر أتلف ابن سيرين كتبه، وهو "محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكتاب"[٨]، "وكان من أورع أهل البصرة، فقيهًا، فاضلاً، حافظًا، متقنًا، يعبر الرؤيا"[٩]، وهو "الإمام في التفسير، والحديث، والفقه، وعبر الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع"[١٠]، وفي بيان مدى ورعه قال بكر بن عبد الله المزني: "من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه فلينظر إلى محمد بن سيرين، فوالله ما أدركنا من هو أورع منه"[١١]، و"قال محمد بن جرير الطبري:

(١) القرطبي: جامع بيان العلم، ج١، ص١٣٨.
(٢) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢١٥.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٣-٦٥.
(٤) المرجع السابق، ج٤، ص٦٥.
(٥) المرجع السابق، ج٤، ص٦٧.
(٦) المرجع السابق، ج٤، ص٦٥.
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٨- ٥٩.
(٨) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٥٤.
(٩) ابن حبان: الثقات، ج٥، ص٣٤٩.
(١٠) النووي: أبو زكريا محيى الدين بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص١١٢.
(١١) الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٢، ص ٢٦٦.

كان ابن سيرين فقيهًا، عالمًا، ورعًا، أديبًا، كثير الحديث، صدوقًا، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة"[١]. وعلى الرغم من هذا العلم الغزير، والفضل الكبير، فقد رُوِي عنه أنه كان يتلف ما يكتب، ولكن بعد أن يحفظه، "فإذا حفظه محاه"[٢]. فكان هذا الإتلاف بغرض الحفاظ على ملكة الحفظ، وعدم الاعتماد على الكتاب.

ومثلهما فعل ابن شهاب الزهري، وهو "محمد بن مسلم بن عبد الله، بن عبد الله ابن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، أحد الأعلام، نزل الشام،... وكان أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقًا بمتون الأخبار، وكان فقيهًا فاضلاً"[٣]، قال عنه عمرو بن دينار: "ما رأيت أحدًا أبصر للحديث من ابن شهاب، وقال أيوب: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري، وقال عنه مكحول: ما أعلم أحدًا أعلم بسنة ماضية من الزهري، وقال الليث: وما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علمًا منه، ولو سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن القرآن والسنة كان حديثه بوعي جامع"[٤]، وكان يقول عن قوة حافظته: "ما استودعت قلبي علمًا قط فنسيته"[٥]، وحكم له بذلك أبو زرعة، حينما سئل أيهما أحفظ الزهري أم عمرو بن دينار؟ "فقال الزهري أحفظ الرجلين"[٦]. وقال عكرمة: "كنا نأتي الأعرج ويأتيه ابن شهاب، فنكتب ولا يكتب ابن شهاب، قال: فربما كان الحديث فيه طول، فيأخذ ابن شهاب ورقة من ورق الأعرج - وكان الأعرج يكتب المصاحف - فيكتب ابن شهاب ذلك الحديث في تلك القطعة، ثم يقرأه، ثم يمحوه مكانه، وربما قام بها معه، فيقرأها، ثم يمحوها"[٧].

ولم يكن هذا الإتلاف سببًا في ضياع علم الزهري؛ إذ "جمع حديثه الإمام أبو عبد الله محمد بن يحيى بن خالد الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وسماه الزهريات"[٨]، كما أن الزهري قد بلغ علمه للكثير، حتى بلغ ما كتب من علمه عدة أحمال للدواب. "قال عبد الرزاق:

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦١.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٩٥.
(٣) السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ج١، ص٢٦.
(٤) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص٣٦٠- ٣٦١.
(٥) السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ج١، ص٢٦.
(٦) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٨، ص٧٤.
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٩.
(٨) الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج١، ص٥٦.

سمعت معمرًا يقول: كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خِزانته، يقول من علم الزهري"[١]. وهكذا كان مبرر الزهري في محو ما كتب هو خوف الاتكال على المكتوب.

ورابع من أتلف خوفًا من الاتكال على الكتاب خالد الحذاء، "الحافظ، الثبت، أبو المنازل، خالد بن مهران، البصري، محدث البصرة"[٢]، "قال ابن حبان في التابعين من الثقات"[٣]، ووثقه يحيى بن معين بقوله: "خالد الحذاء ثقة"[٤]، وزاد ابن سعد: "كان خالد ثقة، مهيبًا، كثير الحديث"[٥]. كان ديدنه الحفظ لا الكتابة، قال عنه فهد بن حيان: "كان حافظًا، مهيبًا، ليس له كتاب"[٦]، وكان ذلك لخوف الاتكال على الكتابة فلما قُرئ عليه حديث طويل، لم يجد بدًا من كتابته، فكتبه، فلما حفظه أتلف كتابه؛ قال عن نفسه: "ما كتبت شيئًا قط، إلا حديثًا طويلاً، فلما حفظته محوته"[٧].

كذلك كان يفعل "هشام بن حسان، الأزدي، أبو عبد الله، القردوسي"[٨]، "الحافظ، محدِّث البصرة، صحب الحسن وابن سيرين، قال ابن عيينة: كان أعلم الناس بحديث الحسن، وقال في المغني: هشام بن حسان ثقة مشهور"[٩]، و"يقال إن عنده ألف حديث حسن، ليست عنده غيره"[١٠]، "كلها في صدره يحفظها، فما كان له كتب يكتب فيها. قال إبراهيم بن المغيرة المروزي، قلت لهشام بن حسان أخرج إليَّ بعض كتبك، قال ليس لي كتب"[١١]، وقال هشام عن نفسه: "ما كتبت للحسن وابن سيرين قط إلا حديث الأعمال؛ لأنه طال علي فكتبته، فلما حفظته محوته"[١٢]، وهكذا كانت الكتابة من أجل الحفظ، فلما حفظ أتلف ما كتب.

---

(١) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص٣٦١.
(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١١٢.
(٣) البماري: التاريخ الكبير، ج٣، ص١٧٣.
(٤) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المالكي: التعديل والتجريح لمن خرج له البماري في الجامع الصحيح، ج٢، ص ٥٦٥.
(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص١٠٥.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص١٩٢.
(٧) المرجع السابق، نفسه.
(٨) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٥.
(٩) ابن العماد: شذرات الذهب، ج١، ص٢٢٠.
(١٠) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٢٨.
(١١) المزي: تهذيب الكمال، ج٣٠، ص١٨٥.
(١٢) المرجع السابق، ج٣٠، ص ١٨٦.

ولنفس المبرر أتلف "عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي[١]" كتبه، "وهو تابعي، ثقة"[٢]، "وثقه ابن المديني، وقال النسائي: ليس به بأس"[٣]، وهو كما قال ابن حجر العسقلاني: "صدوق"[٤]، و"قال علي بن المديني وأحمد بن عبد الله وغيرهما: هو ثقة"[٥]، ونقل ابن الجوزي كلاماً لابن عدي ولابن حبان مخالفًا لكل ذلك، فقال: "قال ابن عدي: ينفرد عن علي بأحاديث باطلة لا يتابعه الثقات عليها، والبلية منه، وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ، فاحش الخطأ"[٦]. وسواء كان ثقة أو مجروحًا، فقد كان "يسمع الحديث ويكتبه، فإذا حفظه دعا بمقراض فقرضه"[٧].

وسابع هؤلاء "هشيم بن بشير بن أبي حازم، قاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية، الواسطي، نزيل بغداد، مفسر، من ثقات المحدثين،... وكان محدث بغداد[٨]"، وعن قوة حافظته قال محمد بن حاتم المؤدب: "قيل لهشيم: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ في مجلس مائة، ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت"[٩]، وقد كانت عادته الحفظ لا الكتابة؛ "قال إسحاق الأزرق: ما رأيت مع هشيم ألواحًا، إنما كان يجيء إلى المجلس فيسمع ويقوم، يعني يكتفي بحفظه[١٠]"، و"قال عبد الله بن المبارك- مبينًا قوة حفظه -على الرغم من مرور الزمن- من غير الدهر حفظه، فلم يغيِّر حفظ هشيم"[١١]، وعن مقدار ما يحفظ "قال يعقوب الدورقي: كان عند هشيم عشرون ألف حديث"، ولفضله ولعلمه لزمه الإمام أحمد بن حنبل، وقال: "لزمت هشيمًا أربع سنين"[١٢]. وهذه الملكة في الحفظ التي منَّ الله بها على هشيم، كان لا يحب أن يهملها هشيم بالكتابة؛ ولذا رُوِي عنه أنه خرَّق كتابًا له فيه أحاديث في واقعة بينه وبين شعبة ذكرها الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "قال شعبة: خرجت أنا وهشيم إلى مكة، فلما قدمنا الكوفة،

(١) البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٨٢.
(٢) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٨.
(٣) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٥١٩.
(٤) ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١، ص٤٧٢.
(٥) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٣٥٩.
(٦) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص٦٩.
(٧) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ج١، ص٣٨٢ .
(٨) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٩.
(٩) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص١٦.
(١٠) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢، ص٣٠٦- ٣٠٨.
(١١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٨٣.
(١٢) المرجع السابق، نفسه.

رآني هشيم مع أبي إسحاق، فقال: من هذا؟ قلت: شاعر السبيع، فلما خرجنا، جعلت أقول له: حدثنا أبو إسحاق، قال: وأين رأيته، قلت هو الذي قلت لك شاعر السبيع، فلما قدمنا مكة مررت به وهو قاعد مع الزهري، فقلت: يا أبا معاوية من هذا، قال شرطي لبني أمية، فلما قفلنا جعل يقول: حدثنا الزهري، فقلت: وأين رأيته؟، قال الذي رأيته معي، قلت: أرني الكتاب، فأخرجه، فخرقه"[١].

وآخر هؤلاء الثمانية "عبد الرحمن بن سلمة الجمحي، القرشي،... من أهل المدينة[٢]، قال: "سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا، فكتبته، فلما حفظته محوته"[٣].

وهكذا كان مبرر هؤلاء المؤلفين الثمانية لإتلاف ما كتبوه هو خوفهم من الاتكال على الكتب وإهمال الحفظ، ويلاحظ عليهم أن ما أتلفوه لم يكن كتبًا كبيرة بالمعنى المتعارف عليه الآن، وإنما كانت أجزاء كتب، أو أقل من ذلك، بل كانت أحيانًا ورقة أو مجموعة ورقات كتب عليها حديثًا أو عدة أحاديث، كما يلاحظ أيضًا أنهم كلهم محدثون. وأخيرًا فقد كان لهذا الفعل إيجابياته؛ إذ أنه كان سببًا في تقوية ملكة الحفظ عند هؤلاء الأفذاذ، وحافزًا على توصيل علمهم لغيرهم قبل إتلاف كتبهم، فما كان هذا الإتلاف سبباً في ضياع علمهم؛ إذ أنهم قد بلغوه لغيرهم.

٥ - الضن بها على غيرهم

أتلف ستة مؤلفين كتبهم بما يساوي ٩٪ من مجتمع الدراسة، وهم: علي بن مُسهر (ت١٨٩هـ)، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ)، وعلي ابن كردان النحوي (ت٤٢٤هـ)، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ)، وإبراهيم بن الغرس (ت٨٨٨هـ)، ومبرر هؤلاء هو الضن بها على غيرهم.

وأول هؤلاء علي بن مُسهر، وهو "العلامة، الحافظ، أبو الحسن القرشي، الكوفي، قاضي الموصل،... من مشايخ الإسلام،... كان ممن جمع الحديث والفقه،... صدوق، ثقة"[٤]، "ولي قضاء أرمينية، فلما قدمها اشتكى عينه، فقال قاضٍ كان قبله للكحال: أكحله بما يُذهب عينه، حتى أعطيك مالاً، فكحله، فذهبت عينه، فرجع إلى الكوفة

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٢٦.
(٢) البخاري: التاريخ الكبير، ج٥، ص٢٩٠.
(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٣٩٥؛ والخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، ج٣، ص٥٩.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٤- ٤٨٦.

أعمى"[١]، ولم يعد هو بحاجة لكتبه، ولم ير أن غيره يستحق أن يترك لهم كتبه، وخاصة بعد أن تسببوا في إتلاف بصره، فدفن كتبه؛ قال ابن نمير: "علي بن مسهر قد دفن كتبه"[٢].

والثاني أبو حيان التوحيدي، وهو "علي بن محمد بن العباس،... كان متفننًا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام، معتزليًا، يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ، شيخ الصوفية، فيلسوف الأدباء، أديب الفلاسفة"[٣]، وصفه الذهبي بقوله: "له مصنفات عديدة في الأدب والفصاحة والفلسفة، وكان سيئ الاعتقاد، وقال ابن الجوزي في تأريخه: زنادقة الإسلام ثلاثة، ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو يحجم ولم يصرح"[٤]، ونقل السبكي قول ابن النجار: "له المصنفات الحسنة، كالبصائر وغيرها، قال: وكان فقيرًا صابرًا متدينًا، قال: وكان صحيح العقيدة، وقال شيخنا الذهبي: بل كان عدوًا لله خبيثًا، ثم نقل قول ابن فارس في كتاب "الفريدة والخريدة": كان أبو حيان كذابًا قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة"[٥]. وقال السبكي - بعد أن نقل كلام الذهبي وابن الجوزي وحكمهما على أبي حيان بسوء العقيدة والزندقة- "قلت (أي السبكي): الحامل للذهبي على الوقيعة في التوحيدي ما يبطن من بغض للصوفية"[٦]، ونقل السيوطي كلام الذهبي، وكلام ابن الجوزي، وكلام السبكي، ولم يكن له أي ترجيح فيما يخص الحكم على التوحيدي[٧].

ويناسب هذا المقام ما قاله ياقوت عن أبي حيان من أنه: "سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شانه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدودًا محارفًا يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه"[٨].

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٦٤.
(٢) ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين: تاريخ ابن معين (رواية الدارمي)، ج٤، ص٤٤.
(٣) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٤) ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر: طبقات الشافعية، ج١، ص ١٨٦.
(٥) السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص٢٨٦- ٢٨٩.
(٦) المرجع السابق، نفس الصفحات.
(٧) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠، ١٩١.
(٨) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٢.

هذا الأديب الفيلسوف أو هذا الزنديق سيئ العقيدة- أيًا كان- أتلف كتبه في أخريات حياته ضنًا بها على من لا يعرف قدرها كما صرح بذلك السيوطي بقوله: "أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، وضنًا بها على من لا يعرف مقدارها"(١)، وصرح ياقوت الحموي بمثل ذلك قائلاً: "وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، وضنًا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته"(٢).

وقد أشار التوحيدي نفسه إلى ذلك، في الخطاب الذي أرسله إلى القاضي أبي سهل، معتذرًا له عن فعلته، موضحًا له مبرراته في ذلك؛ فقال "هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سرًا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبًا، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبًا"(٣)، وقال أيضًا: "ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولدًا نجيبًا، وصديقًا حبيبًا، وصاحبًا قريبًا، وتابعًا أديبًا، ورئيسًا منيبًا، فشق علي أن أدعها"(٤)، و"كيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة، فما صح لي من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ؟"(٥)، وبهذا لم يكن أبو حيان التوحيدي يرى أن هناك من يستحق أن يترك لهم كتبه فأتلفها ضنًا بها عليهم.

وللمبرر نفسه أتلف "علي بن عيسى الربعي بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري، أبو الحسن النحوي، أحد أئمة النحويين وحذاقهم، أجيدي النظر، الدقيق الفهم والقياس"(٦).

صنَّف تصانيف كثيرة، منها "كتاب شرح سيبويه، إلا أنه غسله"(٧)، ومبرر ذلك الضن به على من لا يستحقه؛ يؤكد ذلك "أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة، فقام مغضبًا وأخذ شرح سيبويه، وجعله في إجانة، وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان، ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة"(٨)، مؤكدًا أن أمثال هؤلاء لا يستحقون كتبه.

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٤.
(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ١٤٥.
(٤) المرجع السابق، نفسه.
(٥) المرجع السابق، نفسه.
(٦) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص٤٧٧.
(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤.
(٨) المرجع السابق، نفسه.

وكذلك فعل "علي بن طلحة بن كردان النحوي، أبو القاسم، قال أبو غالب بن بشران: كان ابن كردان يعرف بابن الصحناني، ولم يبع قط الصحناة، وإنما كان أعداؤه يلقبونه بذلك، فغلب عليه،... والواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي"[١]، هذا الشيخ النحوي "صنف كتابًا كبيرًا في إعراب القرآن، كان يقارب خمسة عشر مجلدًا، ثم بدا له فيه، فغسله قبل موته"[٢]، وجملة "ثم بدا له فيه" قد تعني أنه رجع عن بعض الأشياء فيه، فأتلفه، وقد كان كتابًا في إعراب القرآن، فلو رجع عن إعراب كلمة أو اثنتين أو عشرين كان يمكنه إصلاحها، ولكن يبدو أن جملة "ثم بدا له فيه" تعني تغيير رأيه من ترك الكتاب لقومه إلى إتلافه؛ يؤيد ذلك ما حدث في بداية حياته من إطلاق أعدائه عليه لقبًا لا يحبه، ومن إشارته إلى الموازين المقلوبة بمجتمعه، ووصفه بلده بأنها شر البلاد؛ في قوله:

سئم الأديب من المقام بواسط ... إن الأديب بواسط مهجور
يا بلدة فيها الغنى مكرم ... والعلم فيها ميت مقبور
لا جادك الغيث الهطول ولااجتلى ... فيك الربيع ولا علاك حبور
شر البلاد أرى فعالك ساترًا ... عني الجميل وشرك المشهور"[٣]

ولهجة النقمة على بلده وعلى ساكنيها واضحة في هذه الأبيات، فهو يرى أنها لا تعترف له بجميل، فبدا له أنهم لا يستحقون كتابه فغسله قبل موته، فلمن يترك كتابه إذا كان العلم بينهم ميتًا ومقبورًا؟

وكذلك فعل أبو طالب الكرخي، وهو "الإمام الأوحد، شيخ الشافعية، وصاحب الخط المنسوب، أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكرخي،... كان إمام وقته في العلم والدين والزهد والورع، لازم ابن الخل حتى برع في المذهب والخلاف، وكان من الورع والزهد والعفة والنزاهة والسمت على طريقة اشتهر بها، وكان أكتب أهل زمانه لطريقة ابن البواب"[٤]، إلا أنه "كان ضنينًا بخطه جدًا، فلذلك قل وجوده"[٥]. وضنه بخطه كان السبب وراء إتلافه لتجويدات ما كتب؛ "فكان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستًا ويغسله"[٦].

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٨٢.
(٢) المرجع السابق، نفسه.
(٣) المرجع السابق، نفسه.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٢٤، ٢٥٥.
(٥) ياقوت الحموي" معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٦.
(٦) المرجع السابق، نفسه.

ولنفس المبرر أتلف "إبراهيم بن أحمد بن حسن بن الغرس خليل بن محمد بن خليل بن رمضان بن الخضر بن خليل بن أبي الحسن، برهان الدين، أبو إسحاق ابن الشهاب أبي العباس بن البدر أبي محمد التنوخي الطائي العجلوني، ثم الدمشقي الشافعي...، قرأ البخاري على العامة في الجامع الأموي والنصري، وخطه كعقله رديء، وعبارته سقيمة"[١]، ونقل عنه أنه كان يقول: "إذا عاينت الموت ألقيتها في البحر"[٢]، أي كتبه، وهذا من باب الضن بها على غيره، وعدم رغبته في انتفاعهم بها؛ وهذا أمر غير مستبعد، فقد اشتهر عنه ذلك في حياته، حيث كانت "عنده من الكتب وأجزاء وتصانيف شيخه ما لم ينتفع به، بل وعطل على غيره الانتفاع بها، لعدم سماحه بعاريتها، حسبما استفيض عنه"[٣]؛ فضنه بها في حياته دليل على ضنه بها بعد مماته.

٦ - اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها:

الصالحون من عباد الله، المتقون يتهمون أنفسهم بالرياء، ويعملون الأعمال الصالحة لله تعالى، ثم هم يقدحون في إخلاصهم لله تعالى، وهذا ما حدث لبعض المؤلفين محل الدراسة؛ إذ ألفوا مؤلفاتهم ثم اتهموا أنفسهم في دافعهم ونياتهم عند تأليف هذه الأعمال؛ لأنهم "يرون أن حفظ الحديث وراويته فرض كفاية، وأن في غيرهم من أهل العلم من يقوم بالكفاية وزيادة، ويرون أن التصدي للرواية مع الكفاية بغيرهم لا يخلو من حظ النفس بطلب المنزلة بين الناس"[٤]. الأمر الذي جعل أربعة مؤلفين يمثلون ٦٪ من مجتمع الدراسة يقدمون على إتلاف كتبهم، وهم: الحسن البصري (ت١١٠هـ)، وبشير بن الحارث (ت٢٢٧هـ)، والماوردي (ت٤٥٠هـ)، والشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

أولهم الحسن البصري، وهو "الحسن بن أبي الحسن، البصري، أبو سعيد"[٥]، "الأنصاري، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور،... وهو رأس أهل الطبقة الثالثة"[٦]، "ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فربما غابت فتعطيه ثديها، تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها

(١) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١، ص٥.
(٢) المرجع السابق، نفسه.
(٣) المرجع السابق، نفسه.
(٤) العتمي، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ج٢، ص ٢٤٤.
(٥) ابن حجر العسقلاني: الإيثار بمعرفة رواة الآثار، ج١، ص٦٠.
(٦) المرجع السابق، ج١، ص ٢٣٦.

فيشربه، فكانوا يقولون فصاحته من بركة ذلك"[١]، وكان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأسًا في العلم والعمل"[٢]، قال عنه أبو إسحاق: "كان الحسن يشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣]، وقال قتادة في بيان علمه: "كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام"[٤]، وقال أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أحدًا أفصح من الحسن والحجاج"[٥]؛ ولذا كان العلماء ينصحون بلزوم مجالس علمه. قال أبو قتادة العدوي: "عليكم بهذا الشيخ - يعني الحسن - فخذوا عنه، والله ما رأيت رجلاً قط أشبه رأيًا بعمر بن الخطاب منه"[٦]، وكان طلابه يؤكدون على مقدار علمه الوفير. قال الربيع بن أنس: "اختلفت إلى الحسن عشر سنين، أو ما شاء الله من ذلك، فليس من يوم إلا وأنا أسمع منه شيئًا لم أسمعه قبل ذلك"[٧]. يضاف إلى هذا العلم الغزير ورعه الكبير، حتى قال يزيد بن حوشب: "ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز"[٨].

ولعل ورعه هذا جعله يرى أن تأليف هذه الكتب لشهوة في نفسه، فأتلفها، فمن أقواله: "إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه، فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، ما لي ولهذا، والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله"[٩]، فلعله لما نظر إلى كتبه، رجع إلى نفسه، وقال: ما أردت بهذا وجه الله، ما لي ولهذا، والله لا أعود لهذا أبدًا، ثم أتلفها، ويحكي واقعة الإتلاف ابنه عبد الله، "قال سهل بن حصين بن مسلم الباهلي: قال: بعثت إلى عبد الله بن الحسن بن أبي الحسن ابعث لي بكتب أبيك، فبعث إليَّ: أنه لما ثقل قال: اجمعها لي، فجمعتها له، وما ندري ما يصنع بها، فأتيته بها، فقال للخادم: استجري التنور، ثم أمر بها فأحرقت..."[١٠].

والمؤلف الثاني هو "بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال، أبو

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص٢٣٣.
(٢) الذهبي:الكاشف، ج١، ص٣٢٢.
(٣) يحيى بن معين: تاريخ يحيى بن معين، ج٤، ص٣٤٨.
(٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٢.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٢٨.
(٦) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٢.
(٧) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٢.
(٨) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص٢٣٣.
(٩) المرجع السابق، نفس المجلد، ص٢٣٥.
(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧٥.

النصر، المعروف بالحافي، مروزي، سكن بغداد"[١]، وهو "الإمام، العالم، المحدث، الزاهد، الرباني، القدوة، شيخ الإسلام"[٢]، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، تفرد بموفور العقل وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول"[٣]، "وكان عديم النظير زهدًا وورعًا وصلاحًا، كثير الحديث، إلا أنه كان يكره الرواية، ويخاف من شهوة النفس في ذلك، حتى أنه دفن كتبه"[٤]؛ يؤكد هذا المعنى الخطيب البغدادي بقوله: "وكان كثير الحديث، إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك"[٥]، أي أنه أتلف كتبه لورعه، ولخوفه أن يكون تأليفها رياءً - كما أشار إلى ذلك الذهبي - فقد كان يعتبر أن روايته للحديث لشهوة في نفسه؛ ولذا كان يتركه، ولما "قيل له ألا تحدث؟ قال: أنا أشتهي أن أحدث، وإذا اشتهيت شيئًا تركته"[٦]، وكان يرى أيضًا أن روايته الإسناد خيلاء، ويقول: "إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء"[٧]، وكان يقول: "إنما الحديث اليوم طرف من طلب الدنيا وكده، وما أدري كيف يسلم صاحبه، وكيف يسلم من يحفظه، لأي شيء يحفظه"[٨]، ولورعه، ولمخالفة نفسه هواها، ولخوفه من الرياء أتلف كتبه.

ولنفس الدافع أتلف الماوردي كتبه، وهو "الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف،... ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد،... وله مصنفات كثيرة في الفقه، والتفسير، وأصول الفقه، والأدب، وكان حافظًا للمذهب"[٩]، ونقل ابن العماد: قول "ابن قاضي شهبة: هو أحد أئمة أصحاب الوجوه، وقال الخطيب: كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين"[١٠]، بينما نقل الذهبي قول ابن الصلاح: "هو متهم بالاعتزال، وكنت أتأول له، وأعتذر عنه، حتى وجدته يختار في بعض الأوقات أقوالهم"[١١].

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٦٧.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٤٦٩ .
(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٦٧.
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٥٤١.
(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٦٧.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٧٠.
(٧) المرجع السابق، ج١٠، ص٤٧٠، ٤٧١.
(٨) ابن منظور: محمد بن مكرم: مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص١٨٠.
(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦٤- ٦٥.
(١٠) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣. ص٢٨٦.
(١١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦٧.

وسواء كان معتزليًا أو غير معتزلي فقد دفن كتبه؛ وذكر ابن خلكان "أنه لم يظهر شيئًا من تصانيفه في حياته، وإنما جمعها كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه: الكتب التي في المكان الفلاني كلها من تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر فإن عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة، قال ذلك الشيء: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده"(١).

وسواء كانت هذه الواقعة مقبولة عقلاً أو غير مقبولة، فقد ذكرها ابن خلكان، وذكرها من بعده الذهبي في "سير أعلام النبلاء"، وابن العماد في"شذرات الذهب"، وغيرهما، والحجة على الراوي. وهكذا دفن الماوردي كتبه في حياته، ثم أُظهرت بعد موته، وكان الدافع وراء دفنه لكتبه اتهامه لنيته وإخلاصه لله عز وجل، وقد صرح بذلك بقوله: "وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر"(٢).

وكذلك فعل الشنقيطي، "محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن سيدي احمد بن المختار،... من القطر المسمى بشنقيط، وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن"(٣)، درس العلم بشنقيط، وقال عن نفسه: "لما حفظت القرآن، وأخذت الرسم العثماني، وتفوقت فيه على الأقران، عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية، وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون"(٤)، "وقد مضى رحمه الله في طلب العلم قدمًا، وألزمه بعض مشايخه بالقران، أي أن يقرن بين كل فنين حرصًا على سرعة تحصيله، وتفرسًا له في القدرة على ذلك"(٥). وبعد أن انتهى من طلب العلم عمل في بلده في مجال "الدرس والفتيا، ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه"(٦)، "ثم

(١) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص٢٨٢- ٢٨٣.

(٢) المرجع السابق، نفسه.

(٣) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٩، ص٤٧٩- ٤٨٠.

(٤) المرجع السابق، ج٩، ص٤٨٥.

(٥) المرجع السابق، ج٩، ص٤٨٦.

(٦) المرجع السابق، ج٩، ص٤٨٨.

خرج من بلده لأداء فريضة الحج وعلى نيته العودة،... وبعد وصوله إلى هذه البلاد تجددت نية بقائه،... وكان يقول: ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١]، وكانت هذه بدايته في المملكة العربية السعودية، مدرسًا للتفسير بالمسجد النبوي، ثم مدرسًا بكليتي: الشريعة ، واللغة بمدينة الرياض، ثم محاضرًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم أصبح عضوًا بمجلسها، حتى صار عضوًا بهيئة كبار العلماء بالسعودية، وعضوًا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي[٢].

وأما حادثة الإتلاف فقد حدثت في شبابه، حينما أتلف أول كتاب ألفه، وهو كتاب في أنساب العرب، أسماه "خالص الجمان في ذكر أنساب بني عدنان"، وكان قد ألفه قبل البلوغ، "وبعد البلوغ دفنه، قال: لأنه كان على نية التفوق على الأقران"[٣].

وهكذا كان دافع إتلاف الشنقيطي لكتابه هو اتهامه لنفسه بعدم الإخلاص لله في تأليف هذا الكتاب.

٧ - عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله

رغبة في عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى أتلف مؤلف واحد كتبه، بما يساوي ١,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهو عروة بن الزبير (ت٩٤هـ) "القرشي، من أهل المدينة، كنيته أبو عبد الله، أخو عبد الله بن الزبير، أمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق"[٤]، وهو "تابعي، ثقة، كان رجلاً صالحًا، لم يدخل في شيء من الفتن"[٥]، و"كان ثقةً كثير الحديث، فقيهًا، عاليًا، مأمونًا، ثبتًا"[٦]، وكان "حجة، عالمًا بالسير، وهو أول من صنف المغازي، وكان من فقهاء المدينة المعدودين، ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه"[٧]، وقد "أحرق كتبًا له فيها فقه"[٨]؛ لأنه كان يرى وقتها عدم جواز اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى، وصرح بذلك بقوله: "كنا نقول لا نتخذ كتابًا مع كتاب الله، فمحوت كتبي"[٩]، ثم ظهر له بعد ذلك جواز كتابة غير القرآن، الأمر الذي جعله يندم على إتلافه

(١) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٨٩- ٤٩٠.
(٢) المرجع السابق، ج٩، ص٤٩٠- ٤٩٦ .
(٣) المرجع السابق، ج٩، ص٤٩٧ .
(٤) ابن حبان: الثقات، ج٥ ، ص١٩٤.
(٥) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص١٣٢.
(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ١١٩.
(٨) ابن معين: تاريخ ابن معين، ج٣، ص١٤٢.
(٩) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٦٥.

لكتبه، فكان يقول معبرًا عن مدى ندمه "لوددت أني كنت فديتها بأهلي ومالي"[١]، و"لأن تكون عندي أحب إليَّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي"[٢]، وروي عنه أنه قال: "كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أني فديته بمالي وولدي، وأني لم أمحه"[٣].

٨ - مرض الاكتئاب

كان مرض الاكتئاب[٤] الذي أصاب داود الطائي (ت١٦٢هـ) سببًا في إتلافه لمؤلفاته، وهو "داود بن نصير، الطائي، العابد، كنيته أبو سليمان"[٥]، "أصله من خراسان، ومولده بالكوفة، رحل إلى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة"[٦]، "سمع الحديث وفقه، وعرف النحو، وعلم أيام الناس وأمورهم"[٧]، وهو "الإمام، الفقيه، القدوة، الزاهد، أحد الأولياء،... وكان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة،... ولم يخلف بالكوفة أحدًا مثله"[٨]. هذا العالم الجليل أصابته حالة شديدة من الاكتئاب، دفعته إلى اعتزال الناس وإتلاف كتبه. فقد تعرض لموقف آلمه وأحزنه حزنًا شديدًا، قال ابن عيينة: "كان داود الطائي ممن علم وفقه، وكان يختلف إلى أبي حنيفة، فأخذ حصاة فحذف بها إنسانًا، فقال له (أبو حنيفة) يا أبا سليمان: طال لسانك، وطالت يدك"[٩].

هذا الموقف تسبب في إصابته بحالة من "الاكتئاب" ظهرت أعراضه على شخصيته، فبدأت بالحزن الشديد بسبب إهانته وفقده لمكانته، ثم قلة الكلام، ثم الصمت، وعدم الرغبة في الخلطة بالناس، واعتزالهم عنهم، والانكفاء على الذات. فقد كان يحضر مجلس أبي حنيفة لكنه لا يسأل ولا يجيب[١٠]، وظل ذلك سنة كاملة، ثم لزم الصمت، وأصبح لا يتكلم حتى مع قرناء الدراسة؛ "فكان يحضر المجلس وهم يخوضون

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص٢٥٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.

(٣) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٩.

(٤) لتعريف الاكتئاب وأسبابه وأعراضه راجع: حامد عبد السلام زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص٤٢٩- ٤٣٢.

(٥) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٢٨٢.

(٦) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٣٥.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٧.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٢٢- ٤٢٣.

(٩) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨.

(١٠) المرجع السابق، نفسه.

وهو لا ينطق"[١]، ثم انكفأ على ذاته، وقل كلامه لدرجة كبيرة حتى لو سأله أحدهم لم يجبه؛ "وسأله أحدهم عن تفسير آية من القرآن "فقال: يا فلان انقطع الجواب"[٢]، وأصبح لا يرغب في معاشرة الناس، فلزم داره، ولم يعد يخرج إلا للصلاة؛ و"إذا سلم من الفريضة أسرع إلى منزله"[٣]، واعتزل الناس، وآثر الابتعاد عنهم، "وجلس في بيته عشرين سنة أو أقل حتى مات"[٤]، ورغب في العزلة أكثر، فأصبح يتحاشى استقبال الناس في بيته، حتى ولو كانوا أصدقاءه؛ "قال أبو أسامة: جئت أنا وابن عيينة إليه، فقال جئتماني مرة، فلا تعودا"[٥].

هذه الحالة من الاكتئاب دفعته في النهاية إلى إتلاف كتبه، فمريض الاكتئاب تراوده من وقت لآخر الرغبة في الانتحار، وإتلاف المؤلف لكتبه هو نوع من الانتحار، وقطعٌ لكل رابطة بهذه الحياة.

٩ - كلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق

فلأن شيخه عبد الرزاق الصنعاني تحدث عن سيدنا عمر بن الخطاب بأسلوب غير لائق، ونعته بالأحمق، فأتلف زيد بن المبارك "الصنعاني، اليمني"[٦] (ت٢٣٠هـ)، جميع الأحاديث التي سمعها منه. وقد كان زيد "من أولياء الله، العبَّاد، حسن الحديث"[٧]، ومن فضله أنه كان يوضع في مصاف الإمام أحمد بن حنبل، "قال عباس العنبري: كنا نقول: أحمد بن حنبل بالعراق، وصدقة بن الفضل بخراسان، وزيد بن المبارك باليمن"[٨]، و"وذكره ابن حبان في الثقات"[٩]، و"قال أبو حاتم: صدوق، قد أدركته"[١٠].

"قال العقيلي: سمعت علي بن عبد الله بن المبارك الصنعاني يقول: كان زيد بن المبارك لزم عبد الرزاق، فأكثر عنه، ثم خرَّق كتبه، ولزم محمد بن ثور، فقيل له في

(١) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٢٨٢.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٢٣.
(٣) المرجع السابق، نفسه.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٧.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٢٤.
(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣١٧.
(٧) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٤١٩.
(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣١٨.
(٩) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣٦٧.
(١٠) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣١٧.

ذلك، فقال: كنا عند عبد الرزاق فحدثنا بحديث معمر عن الزهري عن مالك بن أوس ابن الحدثان الحديث الطويل فلما قرأ قول عمر لعلي والعباس: ـ رضي الله عنهم ـ فجئتَ أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجاء هذا يطلب ميراث امرأته من أبيها، قال عبد الرزاق انظروا إلى الأَنْوَك[١] ـ يقصد سيدنا عمر ـ يقول تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، ألا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال زيد بن المبارك: فقمتُ فلم أعد إليه، ولا أروي عنه حديثاً أبداً"[٢].

١٠ - إرضاءً لشيخ آخر ليحدثه

لهذا المبرر أتلف عبد الله بن محمد المقدسي (ت٣١٣هـ) بعض كتبه، وهو "عبدالله بن محمد بن سلم بن حبيب بن عبد الوارث، أبو محمد المقدسي الفريابي"[٣]، الإمام، المحدث، العابد، الثقة،... وصفه ابن المقرئ بالصلاح والدين"[٤]، أتلف بعض كتبه التي سمعها من شيخه حرملة؛ كي يرضي عنه الشيخ أحمد بن صالح ويحدثه؛ يحكي واقعة الإتلاف بنفسه، فيقول: "قدمت مصر فبدأت بحرملة، فكتبت عنه كتاب عمرو بن الحارث ويونس بن يزيد والفوائد، ثم ذهبت إلى أحمد بن صالح فلم يحدثني، فحملت كتاب يونس بن يزيد الذي كتبته عن حرملة فحرقته بين يديه لأرضيه وليتني لم أحرق، فلم يرد ولم يحدثني"[٥].

من ذلك يتضح أن المقدسي قد حرق بعض كتبه التي سمعها من شيخه حرملة، ليرضى عنه أحمد بن صالح ويحدثه، لكنه ندم على ذلك؛ لأن أحمد بن صالح لم يحدثه، ولم تبقَ له كتبه.

١١ - التبرك بدفنها معه

أراد ابن أبي حجلة (ت٧٧٦هـ) أن يتبرك بقصائد نظمها في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأوصى أن تدفن معه هذه القصائد، وابن أبي حجلة هو "أحمد ابن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة، شهاب الدين، التلمساني"[٦]، "أبو

(١) الأنوك هو الأحمق والعاجز الجاهل والعيي في كلامه. راجع: إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٦٤.

(٢) العقيلي: أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي: الضعفاء الكبير، ج٣، ص١١٠.

(٣) ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٠٦.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٥.

(٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.

العباس، المغربي، المصري، الحنفي، الشهير بابن أبي حجلة، وكان إمامًا بارعًا، عالمًا فقيهًا، أديبًا شاعرًا،... ومهر في عدة علوم، وغلب عليه الأدب،، وقال الشعر الجيد، وصنّف ودوّن،...، وله خمسة دواوين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم"[١]، "وصنّف كتابًا عارض فيه قصائد ابن الفارض بقصائد كلها نبوية، وكان يحط عليه، لكونه لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويحط على نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم"[٢]، بلغ حبه لقصائده التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم أنه "أوصى أن تدفن معه"[٣]، "حتى أنه أمر عند موته أن يوضع الكتاب الذي عارض به ابن الفارض، وحط عليه فيه، في نعشه، ويدفن معه في قبره"[٤]، فلم تكن وصيته بدفن كتبه رغبة في إتلافها، وإنما للتبرك بها، والتماس شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن خلال دراسة مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم تبين أن أكثر مبررات إتلاف المؤلف لمؤلفاته هو: "الرغبة في التفرغ للعبادة"؛ إذ كان مبررًا لثمانية عشر مؤلفًا يمثلون ٢٧٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، تلاه "الرجوع عما فيها" بنسبة ٢٠٪، ثم "الخوف من تحريفها بعد موتهم" بنسبة ١٨٪، بينما كان "الخوف من الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ" مبرر ١٢٪ من المؤلفين، تلاه "الضن بها على غيرهم" بنسبة ٩٪، ثم "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها" بنسبة ٦٪، وأما باقي المبررات وهي: عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله، والاكتئاب الشديد، وتعريض شيخه بأحد الصحابة رضي الله عنهم، وإرضاءً لشيخ آخر، والتبرك بدفنها - فلم يكن أيّ منها مبرراً لأكثر من ١,٥ من المؤلفين محل الدراسة.

وهذه المبررات لا تقدح من قريب أو بعيد في الحضارة الإسلامية، بل يمكن القول إنها حافظت على نقاء العلم في هذه الحضارة؛ فمبررات مثل "الرجوع عما فيها" من أخطاء علمية، أو "الخوف من تحريفها بعد موتهم" كانت دافعًا للمؤلف لتأدية علمه نقيًا إلى تلاميذه قبل الإقدام على إتلاف مؤلفاته، وأما "خوف الاتكال على الكتاب" فقد كان دافعًا للعمل على إتقان الحفظ أكثر.

وأما مبرر "الرغبة في التفرغ للعبادة"، فقد كان مبررًا لبعض المؤلفين في أخريات حياتهم، بعد أن طالت بهم الحياة العلمية في التعليم والعطاء، أي بعد أن أدوا علمهم إلى

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج١، ص١٤٠ .
(٢) الغزي الحنفي: الطبقات السنية، ج١، ص١٨٥.
(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(٤) الغزي الحنفي: الطبقات السنية، ج١، ص١٨٥.

غيرهم، وسيرهم تشهد بذلك.

وأما مبرر "الضن بها على غيرهم" وهو المبرر الذي يمكن أن يستخدم في القدح في الحضارة الإسلامية فلم يمثله سوى ٩٪ من المؤلفين، كما أنه لم يظهر في القرن الأول والثالث والرابع والسابع والثامن والعاشر والرابع عشر؛ مما يدل على الترابط القوي بين المؤلف ومجتمعه في الغالب الأعم.

هكذا كانت أغلب مبررات الإتلاف سبيلاً للحفاظ على علوم الحضارة الإسلامية، لا تدميرها.

رابعًا- طرق الإتلاف

لم يقتصر المؤلفون في إتلاف مؤلفاتهم على طريقة واحدة للإتلاف، بل تعددت هذه الطرق من تخصص علمي لتخصص آخر، ومن حقبة زمنية لحقبة أخرى، بل أحيانًا من مؤلف لمؤلف آخر في نفس التخصص وفي نفس الحقبة الزمنية، وقد بلغت طرق الإتلاف سبعًا، الأولى: الدفن، واستخدمها عشرون مؤلفًا بنسبة ٣٠٪، والثانية: الحرق، واستخدمه ٢٠٪، والثالثة: الغسل بنسبة ١٨٪، والرابعة: الإغراق بنسبة ١٤٪، والخامسة: المحو بنسبة ١١٪، والسادسة: التخريق بنسبة ٦٪، والسابعة: التقريض بنسبة ٥ , ١٪.

وقد أمكن تقسيم طرق الإتلاف وفقًا للوسيلة المستخدمة في الإتلاف إلى أربعة أقسام، هي: الإتلاف بالنار، والإتلاف بالدفن، والإتلاف بالماء، والإتلاف بالتمزيق. كما أمكن تقسيمها وفقًا لدرجة الإتلاف التي تلحقها بالمؤلفات إلى أربعة أقسام أيضًا، هي: طرق تكفل الحفاظ على ما كُتب وما كُتب عليه، كالدفن، وطرق لإتلاف ما كُتب مع الحفاظ على المادة المكتوب عليها، كطريقتي المحو والغسل، وطرق يمكن بعدها استرجاع ما كُتب بجهد بسيط، والاستفادة من المادة المكتوب عليها بخسارة قليلة، وأخيراً طرق لتدمير ما كتب وما كتب عليه، كطريقتي الحرق والإغراق.

وفيما يلي دراسة لطرق الإتلاف مرتبةً وفق نسبة استخدامها، والمؤلفون الذين استخدموا كلاً منها.

الطريقة الأولى: الدفن

دفن عشرون مؤلفًا مؤلفاتهم، بما يساوي ٣٠٪ من مجتمع الدراسة، وهم: محمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)،

ومطلب بن زياد الكوفي (ت١٨٥هـ)، وعلي بن مسهر (ت١٨٩هـ)، وعطاء بن مسلم (ت١٩٠هـ)، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ)، والحسن بن رودبار (ت٢٠١هـ)، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ)، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ)، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ)، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ)، وبشر بن الحارث (ت٢٢٧هـ)، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ)، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ)، ومحمد بن يحيى الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وأحمد بن يحيى (ت٧٧٦هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

الطريقة الثانية: الحرق

أحرق ثلاثة عشر مؤلفًا مؤلفاتهم، وهم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)، وأبو قلابة (ت١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وعيسى بن يونس (ت١٨٨هـ)، وعبد العزيز بن عمران(ت١٩٧هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، وأحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ)، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٦٧هـ)، وبلغت نسبتهم ١٩,٥٪.

الطريقة الثالثة: الغسل

أتلف اثنا عشر مؤلفًا مؤلفاتهم بغسلها، وهم: شعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)، والشافعي (ت٢٠٤هـ)، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ)، وعلي بن طلحة بن كردان (ت٤٢٤هـ)، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ)، وأبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ)، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ)، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ)، وشميم الحلي (ت٦٠١هـ)، والنووي (ت٦٧٦هـ)، وصدر الدين بن الوكيل (ت٧١٦هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ)، وبلغت نسبتهم ١٨٪.

الطريقة الرابعة: الإغراق

أتلف كتبه بإغراقها تسعة مؤلفين، هم: داود الطائي (ت١٦٢هـ)، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ)، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ)، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ)، وأحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ)، والماوردي (ت٤٥٠هـ)، وإبراهيم بن الغرس (ت٨٨٨هـ)، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ)، وقد بلغت نسبتهم ١٤٪.

الطريقة الخامسة: المحو

استخدم المحو في إتلاف مؤلفاته سبعة مؤلفين، بما يمثل ١١٪ من المؤلفين محل

الدراسة، وهم: عبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٣٦٨هـ).

الطريقة السادسة: التخريق

استخدم أربعة مؤلفين أسلوب التخريق لإتلاف مؤلفاتهم، وهم: هشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، وأبو صالح بن المهذب (ت٢١١هـ)، وزيد بن المبارك الصنعاني (ت٢٣٠هـ)، وعبد الله بن محمد المقدسي (ت٣١٣هـ)، بلغت نسبتهم ٦٪ من المؤلفين محل الدراسة.

الطريقة السابعة: التقريض

واستخدم مؤلف واحد التقريض في إتلاف مؤلفاته، وهو: عاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، بما يمثل ١,٥٪.

مما سبق يتبين أن أكثر هذه الطرق استخدامًا هي الدفن، ولعل ذلك يرجع إلى إمكانية استرجاع المؤلف لمؤلفاته التي دفنها إذا أراد ذلك، مما يدل على أن الكثير من المؤلفين كان يتلف مؤلفاته وهو متردد، وكأنه لم يكن قرارًا نهائيًا، فكان يعطي نفسه فرصة الرجوع في ذلك. تلا هذه الطريقة "الحرق"، وهي طريقة للتخلص النهائي لمادة الكتابة ولما كتب عليها، وهي بمثابة قرار نهائي لا رجعة فيه، فإذا استخدمها المؤلف لإتلاف مؤلفاته فلا سبيل لاسترجاع ما كتب، أو الاستفادة بمادة الكتابة، وقد استخدم هذه الطريقة المؤلفون الذين رغبوا في التخلص النهائي من مؤلفاتهم. أما التخريق والتقريض فكانتا أقل طرق الإتلاف استخدامًا، فهما بمثابة تعبير رمزي للإتلاف، إذ أن المؤلف يستطيع معرفة ما كتب حتى بعد تخريقه أو تقريضه بجهد بسيط، كما أنه يمكنه الاستفادة من المادة المكتوب عليها بخسارة قليلة، ويمكن أن يكون سبب قلة استخدامها أنها تحتاج إلى أدوات ما كآلة حادة للتخريق أو مقراض للتقريض، ربما لم تكن متوافرة وقتها، أو رغبة في عدم إتلافها إتلافًا كاملاً، وبهذا يتبين أن الكثير من المؤلفين كانوا يتلفون مؤلفاتهم وهم غير راغبين في تدميرها نهائيًا.

وقد اختلفت طرق الإتلاف عبر المراحل الزمنية؛ ففي القرن الأول الهجري أتلف ثلاثة مؤلفين مؤلفاتهم، بما يساوي ٤,٥٪ من مجتمع الدراسة؛ اثنان منهم محوها، وواحد أحرقها، وفي القرن الثاني الهجري أتلف ثلاثة وعشرون مؤلفًا مؤلفاتهم، بما يساوي ٣٥٪ من المؤلفين محل الدراسة، ٣٩٪ استخدموا الدفن، و٢٦٪ استخدموا الحرق، و١٧٪ استخدموا المحو، و٤٪ استخدموا الغسل، و٤٪ استخدموا الإغراق، و٤٪

استخدموا التقريض، و٤٪ استخدم التخريق، وفي القرن الثالث الهجري أتلف سبعة عشر مؤلفًا مؤلفاتهم، بما يساوي ٢٧٪ من المؤلفين محل الدراسة، ٥٣٪ منهم استخدموا الدفن، و١٨٪ استخدموا الإغراق، و١٢٪ استخدموا الحرق، و١٢٪ استخدموا التخريق، و٦٪ استخدموا الغسل، وفي القرن الرابع ست حالات إتلاف، تمثل ٩٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، ثلثهم أتلفوا بالحرق، وثلث آخر أتلفوا بالإغراق، والثلث الثالث بالمحو والتخريق، وفي القرن الخامس نفس عدد حالات الإتلاف، ٥٠٪ منهم أتلفوا بالغسل، و٣٣٪ أتلفوا بالحرق، ١٦,٥٪ أتلف بالإغراق، أما في القرن السادس فكان هناك ثلاث حالات إتلاف، تمثل ٤,٥٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، كلهم استخدموا الغسل في الإتلاف، وفي القرن السابع حالتان، تمثلان ٣٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، وكلاهما استخدم الغسل أيضًا، وفي القرن الثامن نفس عدد حالات الإتلاف، نصفهم استخدم الغسل، والنصف الآخر استخدم الدفن، وفي القرن التاسع حالتان أيضًا، وكلاهما أتلف مؤلفاته بإغراقها، أما في القرن العاشر فظهرت حالة إتلاف واحدة، تمثل ١,٥٪ من حالات الإتلاف، وتم استخدام الغسل كطريقة للإتلاف، وكذلك القرن الرابع عشر كان فيه حالة إتلاف واحدة، واستخدم صاحبها الدفن لإتلافها.

وهكذا يتضح أن المحو كان أكثر الطرق استخدامًا في القرن الأول الهجري؛ رغبةً في الحفاظ على المادة المكتوب عليها لاستخدامها فيما بعد، لقلة مواد الكتابة في هذه الآونة، وأن الدفن كان أكثر الطرق استخدامًا في القرون: الثاني، والثالث، والرابع عشر؛ ويبدو أن في ذلك ترددًا من قبل المؤلفين في إتلاف مؤلفاتهم أو الرجوع عن ذلك القرار، فأعطوا لأنفسهم فرصة استرجاع ما دفن حال الرجوع عن قرار الإتلاف، بينما كان الحرق والإغراق أكثرها استخدامًا في القرن الرابع، كقرار نهائي لا رجعة فيه، في حين كان الغسل أكثرها في القرون: الخامس، والسادس، والسابع، والعاشر، رغبة في الحفاظ على مادة الكتابة؛ لاستخدماها فيما بعد.

مدى استخدام المؤلف لأكثر من طريقة للإتلاف

استخدم ٨٦,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة طريقة واحدة في الإتلاف، وهم: مسروق بن الأجدع، وعبيدة بن عمرو السلماني، وطاووس بن كيسان، والحسن البصري، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن سيرين، وخالد الحذاء، وهشام بن حسان، وأبو عمرو ابن العلاء، ومحمد بن عبيد الله العرزمي، وداود بن نصير الطائي، وعاصم بن ضمرة، وعبد الله بن المبارك، وضيغم بن مالك، وهشيم بن بشير، ومحمد بن يوسف بن معادن،

ومطلب بن زياد الكوفي، وعيسى بن يونس، وعلي بن مسهر، وعطاء بن مسلم الخفاف، ويوسف بن أسباط، وعبد العزيز بن عمران، والحسن بن رودبار، وحماد بن أسامة، والشافعي، ومؤمل بن إسماعيل ،وأبو صالح محمد بن المهذب، وأبو سليمان الداراني، وسلم بن ميمون الخواص، ويحيى بن يحيى، وبشر بن الحارث، وزيد بن المبارك الصنعاني، وإسحاق بن راهوية، وأحمد بن أبي الحواري، وأبو كريب الهمداني، ومحمد ابن يحيى الذهلي، وأحمد بن الطيب، وموسى بن هرون، ومحمد بن عمر الجعابي، وأحمد بن محمد الخلال، وأبو سعيد السيرافي، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي، وعلي ابن عيسى الربعي، وعلي بن طلحة بن كردان، والماوردي، وأبو سعيد بن أبي الخير، وأبو غالب الذهلي، وأبو إسحاق الغزي، وأبو طالب الكرخي، وشميم الحلي، ومحيي الدين أبو زكريا النووي، وصدر الدين بن الوكيل، أحمد بن يحيى بن أبي حجلة، وإبراهيم بن أحمد ابن الغرس، وعبد الله الإلهي، وجلال الدين السيوطي، ومحمد الأمين الشنقيطي. يُلاحظ أن هؤلاء المؤلفين لا رابط بينهم؛ فلم يربطهم تخصص علمي، أو وحدة زمان، أو وحدة مكان.

في حين استخدم٥,٧٪ من المؤلفين طريقتين في الإتلاف، وهم: شعبة بن الحجاج؛ إذ "قال سعد بن شعبة: قال لي أبي يا بني إذا أنا مت فاغسل كتبي وادفنها، فلما مات غسلت كتبه ودفنتها"(١)، وسفيان الثوري الذي أوصى أن تستخدم طريقتان في إتلاف كتبه: المحو ثم الدفن، "وكان قد أوصى إلى عمار بن سيف بكتبه ليمحوها ويدفنها"(٢)، ونظراً لأن أغلب الروايات أتت بالدفن كرواية الذهبي، وأبي نعيم، وابن الملقن وغيرهم، فقد تم إدراجه فيمن دفن، ومجاهد بن موسى الذي "كان إذا حدّث بالشيء رمى بأصله في دجلة أو غسله"(٣)، فلعله استخدم الطريقتين، أحياناً يستخدم الغسل، وأحياناً يستخدم الإغراق؛ أو لعله كان يستخدم الغسل أولاً، ثم انتهى به الأمر واستخدم الإغراق؛ "فجاء يوما ومعه طبق فقال هذا قد بقى، وما أراكم تروني بعدها، فحدث به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك"(٤)، وأبو حيان التوحيدي الذي ذكر بنفسه أنه استخدم طريقتين في الإتلاف: الحرق والغسل، ففي الرسالة التي أرسلها إلى القاضي أبي سهل قال فيها: "الخبر الذي نمى إليك فيما كان مني من إحراق كتبي

(١) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٢) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٠٢ .
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٤٩٥؛ تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٢٥٦.
(٤) المرجع السابق، نفسه.

النفيسة بالنار، وغسلها بالماء"[١]، وتم إدراجه فيمن "أحرق" لترجيح ياقوت السابق والسيوطي الذي ذكر أنه "أحرق كتبه في آخر عمره"[٢]، وكذلك محمد بن علي ابن المطلب الذي استخدم طريقتين في الإتلاف؛ "غسل مسودات شعره، وأحرق بعضها الآخر"[٣]؛ ويمكن تأويل ذلك بأن المؤلف أتلف مؤلفاته على مرحلتين، كل مرحلة استخدم فيها طريقة مختلفة للإتلاف، أو أوصى بذلك، كما يمكن تأويله بأن المؤلف أراد المبالغة في الإتلاف؛ كاستخدام المحو ثم الدفن، أو أن المؤلف كان في بداية حياته يستخدم طريقة للإتلاف، وبعد مرور وقت استخدم طريقة أخرى.

وأما باقي المؤلفين محل الدراسة ونسبتهم ٦٪ فقد اختلفت الروايات في الطريقة التي استخدموها؛ فعروة بن الزبير أتلف مؤلفاته باستخدام المحو، "قال عروة: كنا لا نتخذ كتابًا مع كتاب الله، فمحوت كتبي"[٤]، وروي "عن هشام بن عروة قال: أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له"[٥]، وقد تم إدراجه فيمن محا، اعتماداً على إخباره بنفسه بطريقة إتلافه لكتبه؛ فإخباره بنفسه أوثق من إخبار غيره.

ونفس الأمر بالنسبة لأبي قلابة الجرمي، فهناك روايتان، الأولى: الحرق، وأوردها ابن سعد في الطبقات، قال: "أوصى أبو قلابة، قال: ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان حيًا، وإلا فاحرقوها"[٦]، والثانية: التخريق، ونقلها الخطيب البغدادي، "وقال الحسن: وإلا فخرقوها"[٧]، ونظرًا لأن رواية ابن سعد أقدم، فقد تم إدراجه فيمن "أحرق".

وذُكرت روايتان لإتلاف عبد الله المقدسي لكتبه؛ الأولى: رواية ابن عساكر لواقعة الإتلاف التي ذكرها على لسان عبد الله المقدسي بقوله: "فحملت كتاب يونس بن يزيد الذي كتبته عن حرملة، فحرقته بين يديه لأرضيه وليتني لم أحرق"[٨]، والثانية: هي التخريق، وذكرها الذهبي بقوله "فخرقته بين يديه، أرضيه بذلك، وليتني لم أخرقه"[٩]، وذكر مثل ذلك المقريزي بقوله: "فخرقته بين يديه، وليتني لم أخرقه"[١٠]، واعتمادًا على

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٥.
(٢) المرجع السابق، نفسه؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص٢٤.
(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٦٥.
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.
(٦) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٧) المرجع السابق، نفسه.
(٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٥.
(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص١٧٣.
(١٠) المقريزي: مختصر الكامل في الضعفاء، ج١، ص٣٠١.

الروايات الأكثر، فقد تم إدراجه فيمن استخدم "التخريق" في إتلاف مؤلفاته.

والأمر نفسه ينطبق على أبي بكر الشبلي؛ إذ ذكر إسماعيل حقي الإستانبولي أن الشبلي "غسل كتبه بالماء"(١)، وهناك رواية أخرى ذكرها الخطيب البغدادي وابن عساكر، تقول: "وغرق في هذه الدجلة التي ترون سبعين قمطرًا مكتوبًا بخطه"(٢)، وقد تم إدراجه فيمن أغرق؛ لأن خبر الإغراق روي على لسانه، وأما الغسل فقد حكاه غيره عنه.

ولعل اختلاف الروايات في إتلاف هؤلاء الأربعة لكتبهم يرجع إلى تعدد واقعة الإتلاف لنفس المؤلف؛ أي أنه أتلف مؤلفاته مرتين، وفي كل مرة استخدم طريقة مختلفة، كعروة بن الزبير، أو أن الأمر لا يتعدى كونه خطأ في التنقيط، أو تصحيفًا من الراوي، فليس بين التحريق والتخريق سوى نقطة توضع فوق حرف الحاء، فيصير التحريق تخريقًا، أو العكس، كما في حالة أبي قلابة وعبد الله المقدسي.

خامسًا - التخصصات العلمية لمن أتلف كتبه

لم يكن للكثير من العلماء الذين أتلفوا كتبهم تخصص علمي واحد؛ فقد كانوا يحسنون أكثر من تخصص، ويبرعون في الكثير من المجالات؛ على سبيل المثال: أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) "صوفي، متكلم، أديب، لغوي، نحوي"(٣)، و"كان متفننًا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام،... فهو شيخ في الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء"(٤)، وكذلك أبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ) فهو "الإمام، المحدث، الثقة، الحافظ، المفيد،... الناسخ"(٥)، "والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ"(٦)، وقد تم إدراج أمثال هؤلاء المؤلفين الموسوعيين في التخصص الذي اشتهر به أكثر، وأصبح ملازمًا لاسمه، وإذا تعذر تحديد ذلك يتم إدراجه في التخصص الأول الذي يتبع ذكر اسمه مباشرة، فذلك مؤشر على إتقانه له أكثر؛ فمحيي الدين النووي (ت٦٧٦هـ)، "صنف كتبًا في الحديث والفقه عم النفع بها"(٧)، وكذلك "أبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ) كان ثقة كثير الحديث...، من

(١) الإستانبولي: تفسير روح البيان، ج٢، ص٤٢١.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٣٩٣؛ وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٦٦، ص٥٤.

(٣) عمر رضا كحالة. (معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية)، ج٧، ص٢٠٥ .

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٥٥.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦.

(٧) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص٦.

الفقهاء ذوي الألباب"[١]، وقد تم إدراج كل منهما ضمن المحدثين؛ لأنه التخصص الذي تلا اسمهما مباشرة.

وإذا تعذر ذلك، أُدرج في الفئة الموضوعية لكتب التراجم التي ترجمت له، فإذا ذُكرت ترجمته في طبقات الفقهاء، أُدرج ضمن الفقهاء، وإذا ذُكرت ترجمته في تراجم اللغويين، تم إدراجه مع اللغويين، وهكذا، ومثال ذلك: أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) "صاحب القراءات"[٢]، و"أحد القراء السبعة"[٣]، و"النحوي، البصري، المقرئ"[٤]، أدرجه الباحث ضمن "النحاة" لذكره ضمن تراجم أئمة النحو واللغة، وهكذا.

ويمكن تقسيم المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم إلى سبع فئات: محدثين، ولغويين، وفقهاء، ومتصوفة، وفلاسفة، ومؤرخين، ومفسرين.

المرتبة الأولى: المحدثون

فقد بلغ عددهم ستة وثلاثين مؤلفًا، يمثلون ٥٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ) "كان ثقة، له أحاديث صالحة"[٥]، وأبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ)، "وكان ثقة كثير الحديث"[٦]، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، وكان يَعُدَّ الحديث حرفًا حرفًا"[٧]، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) "وكان أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقًا بمتون الأخبار"، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهو "محدّث البصرة"[٨]، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ) "محدّث"[٩]، ومحمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ) محدث "سمع سماعًا كثيرًا وكتب"[١٠]، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ) "من أئمة رجال الحديث، حفظًا ودراية وتثبتًا"[١١]، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ) "أمير المؤمنين في الحديث"[١٢]، وعاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، قال عنه بعض أقرانه "كنا نعرف فضل

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص١٨٣.
(٢) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٣٤٥.
(٣) الفيروزأبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص٢٢.
(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٢، ص١٦٠.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٧.
(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٨٣.
(٧) المرجع السابق، ج٥، ص٥٤١.
(٨) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١١٢.
(٩) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٥.
(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٨.
(١١) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٦٤.
(١٢) المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٤.

حديث عاصم بن ضمرة"[١]، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وهو "في المحدّثين مثل أمير المؤمنين في الناس"[٢]، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، محدّث "يروي عن مالك بن دينار، وروى عنه ابنه مالك بن ضيغم"[٣]، وهشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، "من ثقات المحدّثين"[٤]، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)، محدّث[٥]، والمطلب بن زياد (ت١٨٥هـ) "محدّث جليل"[٦]، وعيسى بن يونس (ت١٨٨هـ) يقول عن نفسه "أربعين حديثًا حدثنا بها الأعمش فيها ضرب الرقاب لم يشركني فيها غير محمد بن إسحاق المديني"[٧]، وعلي بن مسهر (ت١٨٩هـ) "الحافظ،... جمع الحديث والفقه"[٨]، وعطاء بن مسلم الخفاف (ت١٩٠هـ) "دفن كتبه، ثم جعل يحدّث فيخطئ"[٩]، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ) "دفن كتبه، فحدّث بعد من حفظه"[١٠]، وعبد العزيز بن عمران (ت١٩٧هـ) "كان يحدّث بحفظه"[١١]، والحسن بن رودبار (ت٢٠١٩هـ) "دفن كتبه، وقال لا يصلح قلبي على الحديث"[١٢]، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ) "كان صحيح الكتاب، ضابطًا للحديث"[١٣]، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ) "دفن كتبه، فكان يحدّث من حفظه، فكثر خطؤه"[١٤]، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ) "ظهر له نيف وعشرون ألف حديث"[١٥]، وبشر ابن الحارث (ت٢٢٧هـ) "المحدّث"[١٦]، وزيد بن المبارك الصنعاني (ت٢٣٠هـ) "حسن الحديث"[١٧]، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ) الذي يقول عن نفسه "لكأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي وثلاثين ألفًا أسردها"[١٨]، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ) "سكن

(١) البخاري: التاريخ الكبير، ج٦، ص٤٨٢.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٣٨٤.
(٣) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٨٦.
(٤) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٩.
(٥) ابن حيان: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، ج١، ص٢٩٧.
(٦) الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ج١، ص٣٧٩.
(٧) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣٤.
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٦.
(٩) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص١٧٨.
(١٠) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٩، ص٤٢٠.
(١١) بن شبة: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٨٠.
(١٢) العجلي: معرفة الثقات، ج١، ص٢٩٤.
(١٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣.
(١٤) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ج٤، ص٥٣١.
(١٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٥.
(١٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٦٩.
(١٧) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٤١٩.
(١٨) المزي: تهذيب الكمال، ج٢، ص٣٨٥.

بغداد وحدّث بها"[١]، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ) "شيخ المحدّثين"[٢]، ومحمد بن يحيى (ت٢٥٨هـ) "إمام أهل الحديث بخراسان"[٣]، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ) "إمام وقته في حفظ الحديث وعلله"[٤]، وعبد الله بن محمد بن سلم المقدسي (ت٣١٣هـ) "المحدّث"[٥]، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ) "أحد الحفاظ المجودين"[٦]، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٣٦٨هـ) "كان يكتب الحديث"[٧]، والنووي (ت٦٧٦هـ) "صنف كتبًا في الحديث والفقه عم النفع بها"[٨]، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) "كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالاً وغريبًا ومتنًا وسندًا واستنباطًا للأحكام"[٩].

المرتبة الثانية: اللغويون

بلغ عددهم عشرة مؤلفين، يمثلون ١٥٪ من مجتمع الدراسة، ويمكن تقسيمهم إلى فئتين:

أ - النحاة، وبلغ عددهم خمسة مؤلفين، وهم: أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) "النحوي"[١٠]، وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) "قرأ النحو،...واللغة،... وله تآليف منها شرح كتاب سيبويه، وأحسن فيه"[١١]، "منقطع النظير في علم النحو خاصة"[١٢]، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ) "أحد أئمة النحويين وحذاقهم"[١٣]، وعلي بن طلحة (ت٤٢٤هـ) "النحوي"[١٤]، وشميم الحلي(ت٦٠١هـ) "النحوي"[١٥].

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٦٥.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٩٤.
(٣) المرجع السابق، ج١٢، ص٢٧٣
(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٧.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٠٦.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٦- ٣٨.
(٧) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ج١، ص٨١٠.
(٨) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص٦.
(٩) السيوطي: العرف الوردي، ج١، ص٤٩.
(١٠) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٢، ص١٦٠.
(١١) الفيروزابادي: البلغة في أئمة النحو واللغة، ج١، ص١٦.
(١٢) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٢٩ق.
(١٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤.
(١٤) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٠٧.
(١٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٦٣.

ب - الأدباء، وعددهم خمسة مؤلفين أيضًا، وهم أبو صالح محمد بن المهذب (ت٢١١هـ) و"كان إمامًا في الأدب وقول الشعر"[١]، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ) "الأديب،... الشاعر"[٢]، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ) كان "يضرب به المثل في صناعة الشعر"[٣]، وصدر الدين بن الوكيل (ت٧١٦هـ) "قال الشعر، فلم يتقدمه فيه أحد من أبناء جنسه"[٤]، وأحمد بن يحيى (ت٧٧٦هـ) "اشتغل بالأدب، وولع به حتى مهر"[٥].

المرتبة الثالثة: الفقهاء

بلغ عددهم تسعة فقهاء، يمثلون ١٣,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة، وتتوزعهم إلى ثلاث فئات:

أ - فقهاء غير متمذهبين: وكانوا قبل ظهور المذاهب الفقهية المعروفة، وعددهم أربعة مؤلفين، وهم: عبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، "من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء"[٦]، وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، "أحد الفقهاء السبعة بالمدينة"[٧]، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، "فقيه، فاضل، مشهور"[٨]، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، "كان فقيهًا، إمامًا، غزير العلم"[٩].

ب - فقهاء شافعية: وعددهم أربعة أيضًا، وهم: محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، الذي "حبِّب إليه الفقه، فسادَ أهل زمانه،... وصنف في أصول الفقه وفروعه،... لم يكن يشتهي الكلام، إنما همته الفقه،..."[١٠]، والماوردي (ت٤٥٠هـ) "الفقيه الشافعي"[١١]، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ) "الفقيه، الشافعي"[١٢]، وإبراهيم ابن الغرس (ت٨٨٨هـ) "الشافعي"[١٣].

---

(١) ابن ماكولا: إكمال الكمال، ج٧، ص٤١٨.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥- ١٦.
(٤) الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص٣٧٣.
(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٣١٤.
(٧) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.
(٨) ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١، ص٢٣٦.
(٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٦٢.
(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٦.
(١١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢.
(١٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٥.
(١٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.

ج - فقهاء حنفية: داود بن نصير(ت١٦٢هـ)، وهو "من الفقهاء ممن يجالس أبا حنيفة"[١].

المرتبة الرابعة: المتصوفة

بلغ عددهم سبعة مؤلفين، يمثلون ١٠,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: أبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، المتصوف، و"كان أحد عباد الله الصالحين، ومن الزهاد المتعبدين"[٢]، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ) "وهو في عداد المتصوفة الكبار"[٣]، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ) "أحد العلماء الزهاد والمشهورين، والعباد المذكورين، والأبرار المشكورين، ذوي الأحوال الصالحة والكرامات الواضحة"[٤]، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ) "شيخ الصوفية"[٥]، وأحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ) الذي "كان يتصوف ويرمي بالحديث"[٦]، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٦٧هـ) "مقدم شيوخ الصوفية"[٧]، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ) "الصوفي"[٨].

المرتبة الخامسة: الفلاسفة

وعددهم اثنان، لا يمثلون إلا ٣٪ من مجتمع الدراسة، وهما: أحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ) "صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي،...وكان موضعه من الفلاسفة لا يجهل"[٩]، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) "فيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة"[١٠].

المرتبة السادسة: المؤرخون

يقع ضمن هذا التخصص مؤلف واحد، وهو أبو غالب الذهلي(ت٥٠٧هـ) "وكان مفيد أهل بغداد والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ، وشرع في تتمة تاريخ بغداد"[١١].

---

(١) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٢٨٢.
(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص١٢٤.
(٣) الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص٣٢٨.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤.
(٥) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص٦٣.
(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.
(٧) الصيرفيني، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ج١، ص ٤٤٨.
(٨) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٥٨.
(٩) المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص١٥٢.
(١٠) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(١١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦.

المرتبة السابعة والأخيرة: المفسرون

ويندرج ضمن هذا التخصص مؤلف واحد أيضًا، هو محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) الذي كان يقول: "ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١] .

مما سبق يتبين أن ٥٥٪ ممن ألف كتبه كان من المحدِّثين، و١٥٪ من اللغويين، و١٢,٥٪ من الفقهاء، و١٠,٥٪ من المتصوفة، و٣٪ من الفلاسفة، و١,٥٪ من المؤرخين، ونفس النسبة من المفسرين، وهذا يعني أن أكثر فئة علمية ألفت كتبها هم المحدِّثون، ولعل ذلك راجع إلى كون هذا التخصص العلمي أكثر التخصصات اعتمادًا على الحفظ، فرغبة هؤلاء المؤلفين في عدم الاتكال على الكتاب وتقوية ملكة حفظهم، جعلت الكثير منهم لا يكتب، وإنما يحفظ مباشرة، والكثير ممن كان يكتب منهم كان يكتب ليحفظ، فإذا حفظ ما كتب أتلفه، إضافة إلى المبررات الأخرى التي ذُكرت من قبل في الجزء الخاص بالمبررات.

سادسًا - بلدان المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم

تمثل الاهتمام في هذه الجزئية في تحديد البلدان التي أتلف المؤلف مؤلفاته بها، لا البلدان التي كان أصله منها، أو التي ولد فيها، وقد كان هذا الأمر من الصعوبة بمكان؛ إذ أن كتب التراجم- في غالبها- اهتمت بذكر البلد التي يرجع أصل المؤلف إليه، أو البلد التي ولد به، وقليلاً ما كانت توضح البلدان التي نشأ فيها وطلب العلم بها، وأقل منها تلك التي توضح متى انتقل إلى هذه البلاد.

فكانت المحاولة هي تحديد في أي سنة تقريبية أتلف المؤلف مؤلفاته، وأي البلاد وقتها كان يسكن، على سبيل المثال: محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) "حمل إلى مكة فسكنها، وتردد بالحجاز والعراق وغيرها، ثم استوطن مصر، وتوفى بها"[٢]، ونظرًا لأن الشافعي ولد سنة ١٥٠هـ وانتقل إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وأحكم ما كتب بالعراق، فالراجح أنه أتلف كتبه التي كتبها بالعراق بعد أن انتقل لمصر؛ لذا تم إدراجه فيمن أتلف كتبه بمصر على الرغم من أنه ليس مصريًا. ومثله: عيسى بن يونس (ت١٨٨هـ) "الكوفي"[٣]، فعلى الرغم أنه كوفي، إلا أنه أدرج ضمن الشاميين؛ لأنه "انتقل عن الكوفة

(١) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٧٩.

(٢) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص١٢٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣١.

إلى بعض ثغور الشام، فسكنها...، وتوفى بها"[١].

وفي حالة استحالة تحديد البلد التي أتلف المؤلف فيها مؤلفاته، كان الباحث ينسبه إلى البلد التي نسبه إليها من ترجم له؛ فإذا قال المترجمون فلان الكوفي، أُدرج ضمن مؤلفي الكوفة، وهكذا.

ووفقًا لهذه المعايير توصلت الدراسة إلى أن الإتلاف لم يقتصر على بلد واحد، أو جنسية بمفردها؛ بل تعددت بلدان الإتلاف وجنسيات من أتلف، فكان منهم العراقيون، والشاميون، والفارسيون، والمصريون، والمدنيون، واليمنيون، والأتراك، والموريتانيون، وقد أمكن تقسيمهم إلى ست فئات، كما يلي:

الفئة الأولى: العراقيون

وقد بلغ عددهم خمسًا وثلاثين مؤلفًا، يمثلون ٥٣٪ من مجتمع الدراسة، أمكن تقسيمهم وفقاً لمدنهم إلى أربعة أقسام:

أ- البغداديون

بلغ عددهم اثني عشر مؤلفًا، يمثلون ١٨٪ من مجتمع الدراسة، وهم: هشيم بن بشير "الواسطي، نزيل بغداد"[٢]، ومجاهد بن موسى الذي "سكن بغداد وحدَّث بها،... ومات ببغداد"[٣]، وموسى بن هرون "البغدادي"[٤]، وأبو بكر الشبلي، "ومنشؤه ببغداد"[٥]، وأحمد بن محمد الخلال الذي "انصرف إلى بغداد،... وتوفي قرب ذلك"[٦]، وأبو سعيد السيرافي الذي "ولي قضاء بغداد، وسكن الجانب الشرقي منها "[٧]، وعلي بن عيسى الربعي الذي "رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات"[٨]، وعلي بن طلحة "الواسطي المولد والدار"[٩]، وعلي بن محمد الماوردي، الذي "استوطن بغداد"[١٠]، "وتوفي بها"[١١]،

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣٣ .
(٢) البخاري: التاريخ الصغير، ج٢، ص٢١١.
(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٦٥.
(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٦.
(٥) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص٦٣.
(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.
(٧) الفيروز أبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص١٦.
(٨) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٥.
(٩) المرجع السابق، ج٢، ص٨٢ .
(١٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢- ٢٨٤.
(١١) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٨٩.

ومحمد بن علي بن المطلب "البغدادي"[١]، وأبو غالب الذهلي "من أهل الحريم من غرب بغداد"[٢]، وأبو طالب الكرخي، الذي قال أحد أقرانه: "أدركت زمانه، ولقيت ببغداد أوانه"[٣].

ب - الكوفيون

بلغ عددهم اثني عشر مؤلفًا أيضًا، يمثلون ١٨٪ من مجتمع الدراسة، وهم: مسروق ابن الأجدع "الكوفي"[٤]، وعبيدة بن عمرو السلماني "من أهل الكوفة"[٥]، ومحمد بن عبيد الله العرزمي "الكوفي"[٦]، وسفيان الثوري "الكوفي"[٧]، وداود بن نصير "الكوفي"[٨]، وعاصم بن ضمرة "الكوفي"[٩]، والمطلب بن زياد "الكوفي"[١٠]، وعلي بن مسهر "الكوفي"[١١]، ويوسف بن أسباط "الكوفي"[١٢]، والحسن بن رودبار "الكوفي"[١٣]، وحماد ابن أسامة، "الكوفي"[١٤] وأبو كريب الهمداني، "الكوفي"[١٥].

ج - البصريون

وهم تسعة مؤلفين، يمثلون ١٣,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: أبو قلابة الجرمي "من أهل البصرة"[١٦]، والحسن البصري "مات بالبصرة"[١٧]، ومحمد بن سيرين "إمام وقته في علوم الدين بالبصرة"[١٨]، وخالد الحذاء "محدِّث البصرة"[١٩]، وهشام بن حسان

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.
(٢) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن، ج١، ص٢٩٨- ٢٩٩.
(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٦.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٢.
(٥) ابن حبان: الثقات، ج٥، ص١٣٩.
(٦) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٢٨٧.
(٧) ابن حجر: لسان الميزان، ج٧، ص٢٣٣.
(٨) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨.
(٩) البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص٤٨٢.
(١٠) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٢٨٢.
(١١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٤.
(١٢) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٧٤.
(١٣) المرجع السابق: ج١، ص٢٩٤ .
(١٤) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩، ٤٦٣.
(١٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص٣٩٤.
(١٦) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٨٨.
(١٧) الشيرازي: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي: طبقات الفقهاء، ج١، ص٨٧ .
(١٨) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٥٤.
(١٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١١٢.

"من أهل البصرة"[١]، وأبو عمرو بن العلاء "من أهل البصرة"[٢]، وشعبة بن الحجاج "سكن البصرة إلى أن توفي"[٣]، وضيغم بن مالك "من أهل البصرة"[٤]، ومؤمل بن إسماعيل "البصري"[٥].

د - الموصليون

وهما مؤلفان، يمثلان ٣٪ من مجتمع الدراسة، هما: محمد بن عمر الجعابي "قاضي الموصل"[٦]، وشميم الحلي الذي "مات بالموصل"[٧].

الفئة الثانية: الشاميون

عشرة مؤلفين، يمثلون ١٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عيسى بن يونس الذي "انتقل عن الكوفة إلى بعض ثغور الشام، فسكنها،... وتوفي بها"[٨]، وعطاء بن مسلم الخفاف "كوفي الأصل، حلبي الدار"[٩]، وأبو صالح محمد بن المهذب "من أهل معرة النعمان"[١٠]، وأبو سليمان الداراني "من أهل دمشق من داريا"[١١]، وسلم بن ميمون الخواص "من عباد أهل الشام"[١٢]، وأحمد بن أبي الحواري الذي "سكن دمشق"[١٣]، وعبد الله بن محمد بن سلم "المقدسي"[١٤]، وأبو إسحاق الغزي "من أهل غزة بفلسطين"[١٥]، ومحيي الدين النووي "نسبة إلى "نوى" وهي قاعدة الجولان من أرض حوران من أعمال دمشق"[١٦]، وإبراهيم بن الغرس "الدمشقي"[١٧].

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٥.
(٢) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٣٤٥.
(٣) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٦٤.
(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص١٣٩.
(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٣٣٩.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٦.
(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٤٣.
(٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣١ق.
(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٣٦.
(١٠) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ج٢، ص٢٠٦ .
(١١) ابن حبان: الثقات، ج٨، ص١٧٦.
(١٢) ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٢٣١.
(١٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤.
(١٤) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٣.
(١٥) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥.
(١٦) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص٣- ١١.
(١٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.

الفئة الثالثة: الفارسيون

بلغ عددهم تسعة مؤلفين أي ١٣,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عبد الله بن المبارك "المروزي"[١]، ومحمد بن يوسف بن معادن "الأصبهاني"[٢]، ويحيى بن يحيى "عالم خراسان،... النيسابوري"[٣]، وبشر بن الحارث "المروزي"[٤]، وإسحاق بن راهوية "المروزي"[٥]، ومحمد بن يحيى "إمام أهل الحديث بخراسان،... النيسابوري"[٦]، وأحمد ابن الطيب "الخراساني، السرخسي"[٧]، وأبو حيان التوحيدي الذي "قدم بغداد، فأقام بها مدة، ومضى إلى الري"[٨]، وأبو سعيد بن أبي الخير "الفارسي، ولد في ميهنة، أهم مدينة في إقليم خابران بخراسان"[٩].

الفئة الرابعة: المدنيون والمصريون

إذ بلغت نسبة كل منهما ٦٪، أما المدنيون، فهم: عروة بن الزبير، "أحد الفقهاء السبعة بالمدينة"[١٠]، وابن شهاب الزهري "المدني"[١١]، وعبد العزيز بن عمران "المديني"[١٢]، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي "من أهل المدينة"[١٣].

وأما المصريون، فهم: الإمام الشافعي الذي "استوطن مصر، وتوفي بها"[١٤]، وصدر الدين بن الوكيل الذي "وُلد بدمياط وقيل بأشمون"[١٥]، وأحمد بن يحيى الذي "ولي مشيخة الصوفية بصهريج منجك ظاهر القاهرة"[١٦]، وجلال الدين "السيوطي"[١٧] المولد والمنشأ.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص٣٧٨.
(٢) أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٧٠.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص٥١٢.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص٤٦٩.
(٥) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة الأسانيد، ج١، ص١٩٥.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص٢٧٣.
(٧) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٦٣.
(٨) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص٢٠٥.
(٩) السلمي: أبو عبد الرحمن: طبقات الصوفية، ج١، ص ٦.
(١٠) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.
(١١) السيوطي: إسعاف المبطأ، ج١، ص٢٦.
(١٢) البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٢٢.
(١٣) المرجع السابق، ج٥، ص٢٩٠ .
(١٤) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص١٢٥.
(١٥) الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص٣٧٣
(١٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(١٧) السيوطي: العرف الوردي، ج١، ص٦٤.

الفئة الخامسة: اليمنيون

وهما اثنان، أي نسبة ٣٪ من مجتمع الدراسة، وهما: طاووس بن كيسان "اليماني"[١]، وزيد بن المبارك الصنعاني "يماني"[٢].

الفئة السادسة: الأتراك والموريتانيون

ويمثلهم مؤلف من كل دولة بنسبة ٥ , ١٪ لكل منهما، وهما: عبد الله الإلهي وكان مولده بقصبة سماو من ولاية أناضول،... وتوطن مدة بمدينة قسطنطينية"[٣] بتركيا، ومحمد الأمين الشنقيطي من شنقيط، وهي "دولة موريتانيا الإسلامية الآن"[٤].

مما سبق تبين أن ٥٣٪ من المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم عراقيون، أو أتلفوها بالعراق، تلاهم الشاميون بنسبة ١٥٪، ثم الفارسيون بنسبة ٥ , ١٣٪، ثم المصريون والمدنيون بنسبة ٤٪ لكل منهما، ثم اليمنيون بنسبة ٣٪، وأخيرًا الأتراك والموريتانيون بنسبة ٥ , ١٪ لكل منهما.

وكون أكثر من نصف من أتلف عراقيون أو أتلفوها بالعراق يتوافق مع كون العراق أحد أهم الحواضر الإسلامية، والدولة الأولى في عهد الخلافة العباسية، وملتقى العلماء والمؤلفين، والتي لها دور عظيم في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، منذ ١٣٢هـ؛ إذ ازدهرت الحضارة فيها، وانطلقت منها إشعاعات الفكر، ووفد إليها العلماء وطلاب العلم، وظلت مزدهرة على مدى أكثر من خمسة قرون، حتى زحف إليها المغول وقضوا على مكانتها الحضارية سنة ٦٥٦هـ. في هذه القرون الخمسة الممتدة من القرن الثاني الهجري حتى القرن السابع الهجري بلغت ظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم ذروتها؛ إذ وقع فيها ٧٧٪ من حالات الإتلاف، فلا غرو أن يقع في العراق ٥٣٪ من حالات الإتلاف.

سابعًا: قدر من أتلفوا كتبهم

إن ذكر وقائع إتلاف المؤلف لمؤلفاته، واهتمام الكثير من كتب التأريخ والتراجم وغيرها بذلك - ليدل على ما لهؤلاء المؤلفين، من قدر، فلو لم يكن لهم شأن لما اهتم المؤرخون والمترجمون بذكر سيرهم ووقائع إتلافهم.

---

(١) السيوطي: إسعاف المبطأ، ج١، ص٤١.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٥٧٣.

(٣) طاشكبري زادة، أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ج١، ص١٥٢.

(٤) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٧٩.

والمتأمل في سير من ألتف كتبه يجد أن أغلبهم له مكانة في تخصصه، سواء كانوا علماء دين أو علماء دنيا، ومن خلال دراسة سيرهم أمكن تقسيمهم إلى أربعة أقسام، هي:

القسم الأول: علماء عُبّاد

اشتهروا في حياتهم بالعلم، كما اشتهروا بالعبادة، وبلغ قدر عددهم أربعة عشر مؤلفًا، يمثلون ٥, ٢١٪ من مجتمع الدراسة، وهم عروة بن الزبير "أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالمًا بالدين، صالحًا، كريمًا"(١)، وطاووس بن كيسان، وكان رأسًا في العلم والعمل"(٢)، والحسن البصري كان "كبير الشأن، رفيع الذكر، رأساً في العلم والعمل"(٣)، ومحمد بن سيرين "الإمام في التفسير، والحديث، والفقه، وعبر الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع" (٤)، وسفيان الثوري "أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى"(٥)، وهو أيضًا "رجل صالح، زاهد، عابد، ثبت الحديث، فقيه، صاحب سنة واتباع"(٦)، وداود بن نصير الطائي "ممن علم وفقه،... ثم إنه تزهد،... وأقبل على العبادة"(٧)، وعبد الله بن المبارك "عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته"(٨)، وهشيم بن بشير "كان محدّث بغداد"(٩)، "قال أبو حاتم: لا يُسأل عن هشيم في صلاحه وصدقه وأمانته"(١٠)، وزيد بن المبارك "كان من أولياء الله، العبّاد، حسن الحديث"(١١)، ومجاهد بن موسى "الحافظ، الإمام، الزاهد"(١٢)، وعبد الله بن سلم المقدسي "المحدّث، العابد، الثقة"(١٣)، وأبو سعيد السيرافي "كان ورعًا، عالمًا،... صام أربعين سنة أو أكثر الدهر كله"(١٤)، والنووي "الصوام، القوام، الزاهد،... كثير التلاوة

(١) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.
(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٦٩.
(٣) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٣٢٤.
(٤) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص١١٢.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٠٤.
(٦) العجلي: الثقات، ج١، ص٤٠٧.
(٧) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٣٨٨.
(٩) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٩.
(١٠) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٤، ص٣٠٧.
(١١) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٢١٩.
(١٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٤٩٥.
(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٠٦.
(١٤) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٢٩.

والذكر لله تعالى،... صنف كتبًا في الحديث والفقه عم النفع بها"[١]، وآخرهم أحمد بن يحيى الذي "اشتغل بالأدب وولع به حتى مهر، ثم ولي مشيخة الصوفية"[٢].

القسم الثاني: علماء

لا يمكن إنكار أنهم كانوا أيضًا عبادًا، إلا أن شهرتهم بالعلم غلبت على شهرتهم بالعبادة، وبلغ عددهم ثمانية وعشرين مؤلفًا، بما يمثل ٤٢٪ من مجتمع الدراسة، يمكن تقسيمهم لفئتين:

١ - علماء دين، عددهم ثلاثة وعشرون مؤلفًا، وهم: عبيدة بن عمرو السلماني "من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء"[٣]، وأبو قلابة "كان ثقة، كثير الحديث"[٤]، وابن شهاب الزهري قال عنه الليث:"ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علمًا منه"[٥]، وخالد الحذاء " ثقة"[٦]، وهشام بن حسان "ثقة، حسن الحديث"[٧]، وأبو عمرو بن العلاء "أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر"[٨]، وشعبة بن الحجاج "أمير المؤمنين في الحديث"[٩]، وعاصم بن ضمرة "وثقه ابن المديني، وقال النسائي: ليس به بأس"[١٠]، والمطلب بن زياد "يُكتب حديثه"[١١]، وعيسى بن يونس، "قال إسحاق بن راهوية: قلت لوكيع إني أريد أن أذهب إلى عيسى بن يونس، فقال: تأتي رجلاً قد قهر العلم"[١٢]، وعلي بن مُسهر "كان ممن جمع الحديث والفقه، ثقة"[١٣]، والحسن بن رودبار "ثقة"[١٤]، وحماد بن أسامة "أحد الأئمة الأثبات"[١٥]، والشافعي "أفقه الناس في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٦]، ويحيى بن يحيى "ما أخرجت

(١) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص١-٦.
(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٤١٣.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٨٣.
(٥) السيوطي: إسعاف المبطأ، ج١، ص٢٦.
(٦) ابن شاهين: أبو حفص عمر بن شاهين: تاريخ أسماء الثقات، ج١، ص٢٧٦ .
(٧) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٢٨.
(٨) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص٢٣١.
(٩) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٤٨٥.
(١٠) المرجع السابق، ج١، ص٥١٩ .
(١١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٨، ص٣٦٠.
(١٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣١-٣٦.
(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٦.
(١٤) العجلي: معرفة الثقات، ج١، ص٢٩٤.
(١٥) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩.
(١٦) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص١٥٦-١٥٨

خراسان بعد ابن المبارك مثله"[١]، وإسحاق بن راهوية " كان أعلم الناس، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق"[٢]، وأبو كريب الهمداني "قال موسى بن إسحاق موضحًا مدى علمه: "سمعت من أبي كريب مئة ألف حديث"[٣]، ومحمد بن يحيى "إمام أهل الحديث بخراسان"[٤]، وموسى بن هرون "كان إمامًا، حافظًا، حجةً"[٥]، وعبدالرحمن ابن سلمة "كان يكتب الحديث"[٦]، والماوردي "فقيه، أصولي، مفسر"[٧]، والسيوطي "كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه"[٨]، وآخرهم الشنقيطي "المفسر بالمسجد النبوي وبالمعهد العلمي بالرياض وكليتي: الشريعة، واللغة، وبمعهد القضاء العالي بالرياض، والمدرس بالجامعة الإسلامية"[٩].

٢ – علماء دنيا، وهم الذين اشتهروا بتخصصهم في مجالات موضوعية غير علوم الدين، وقد بلغ عددهم خمسة مؤلفين، هم: محمد بن المهذب "كان إمامًا في الأدب وقول الشعر"[١٠]، وعلي بن طلحة "الواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي"[١١]، ومحمد بن المطلب "الأديب الأوحد"[١٢]، وأبو غالب الذهلي كان "فهمًا، أديبًا"[١٣]، وآخرهم أبو إسحاق الغزي الذي "يضرب به المثل في صناعة الشعر"[١٤].

القسم الثالث: عُبّاد

وهم الذين غلبت شهرتهم بالعبادة على شهرتهم بالعلم، وبلغ عددهم ستة عشر مؤلفًا، يمثلون ٢٤٪ من مجتمع الدراسة، وهم: مسروق بن الأجدع الذي كان "يصلي حتى

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٥.
(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٤، ص١١٦.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٩٥.
(٤) المرجع السابق، ج١٢، ص٢٧٣ .
(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٧.
(٦) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح، ج١، ص٨١٠.
(٧) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٨٩.
(٨) السيوطي: المَرْقَفُ الوَرْدِي، ج١، ص٤٩.
(٩) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٩٣-٤٩٦.
(١٠) ابن ماكولا: إكمال الكمال، ج٧، ص٣١٨.
(١١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٨٢.
(١٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.
(١٣) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ج١، ص٢٩٨.
(١٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥.

تورم قدماه"[١]، ومحمد بن عبيد الله العرزمي كان "رجلاً صالحًا"[٢]، وضيغم بن مالك "كان من المجتهدين في العبادة، وكان ورده في اليوم والليلة أربعمائة ركعة"[٣]، ومحمد ابن يوسف بن معادن "العابد، الزاهد"[٤]، وعطاء بن سلم الخفاف وهو "رجل صالح"[٥]، ويوسف بن أسباط "كان من العابدين"[٦]، ومؤمل بن إسماعيل "صدوق،... صالح"[٧]، وأبو سليمان الداراني "من أفاضل أهل زمانه وعبادهم، وخيار أهل الشام، وزهادهم"[٨]، وسلم ابن ميمون الخواص الذي "غلب عليه الصلاح"[٩]، وبشر بن الحارث "كان رأسًا في الورع والإخلاص"[١٠]، وأحمد بن أبي الحواري "أحد العلماء الزهاد المشهورين، والعباد المذكورين"[١١]، وأبو بكر الشبلي الذي "سلك مسالك المتصوفة"[١٢]، وأحمد بن محمد الخلال الذي "كان يتصوف"[١٣]، وأبو سعيد بن أبي الخير "أوحد الزمان، لم نر في طريقته مثله، مجاهدةً في الشباب، وإقبالاً على العمل، وتجردًا عن الأسباب، وإيثارًا للخلوة، ثم انفرادًا عن الأقران في الكهولة والمشيب"[١٤]، وأبو طالب الكرخي الذي "كان من الورع والزهد والعفة والنزاهة والسمت على طريقة اشتهر بها"[١٥]، وآخرهم عبد الله الإلهي "كان قاضيًا، ثم تركه، وصار ممن يلازم خدمة الشيخ"[١٦]

القسم الرابع: مجرَّحون

وهم من اتهموا في دينهم أو عقولهم، وقد بلغ عددهم ثمانية مؤلفين، يمثلون ١٢٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عبد العزيز بن عمران الذي "كان يشتم الناس، ويطعن في

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٥.
(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٢٨٧.
(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٨٦٧.
(٤) أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٧٠.
(٥) الهيثمي، الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان المصري: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٢، ص٥٦٠.
(٦) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٩، ص٤٢٠.
(٧) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٣٤٠.
(٨) ابن حبان: الثقات، ج٨، ص١٧٦.
(٩) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تأويل القرآن، ج٥، ص٤٤٠.
(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٧٠.
(١١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤.
(١٢) الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٣٤١.
(١٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.
(١٤) الصيرفيني: المنتخب، ج١، ص٤٤٨.
(١٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٢٥.
(١٦) طاشكبري زادة: الشقائق النعمانية، ج١، ص١٥٣.

أحسابهم"[١]، وأحمد بن الطيب الذي "كان يرى رأي الفلاسفة، وقُتِل سكران"[٢]، وقال المعتضد قبل الأمر بقتله بعدما عرف أنه أحرق كتب الفلسفة: "وما ينفعه ذلك مع كفره"[٣]، ومحمد بن عمر الجعابي الذي "حُكى عنه قلة دين وشرب الخمر"[٤]، و"ورمي بالشرب والتهاون في الصلاة"[٥]، وأبو حيان التوحيدي الذي "قال ابن الجوزي في تاريخه: زنادقة الإسلام ثلاثة، ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان التوحيدي؛ لأنهما صرحا وهو يحجم ولم يصرح، وقال الذهبي كذا قال، بل كان عدوًا لله خبيثًا"[٦]، وعلي بن عيسى الربعي الذي "كان مبتلى بقتل الكلاب وكسر سوقهم"[٧]، ووصفه البعض بالجنون، فقالوا عنه: "كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به، إلا أن جنونه لم يكن يدعه ليتمكن منه أحد في الأخذ عنه والإفادة منه"[٨]، وشميم الحلي الذي "كان قليل الدين، ذا حماقة ورقاعة"[٩]، وأُثر عنه "قلة الدين، وتركه للصلوات المكتوبة ومعارضته للقرآن الكريم، واستهزاؤه بالناس"[١٠]، وصدر الدين بن الوكيل "وكان فيه لعب ولهو"[١١]، وآخرهم إبراهيم بن الغرس "عقله رديء، وعبارته سقيمة "[١٢].

وهكذا اتضح أن من قام بإتلاف كتبه كان منهم العلماء العبَّاد، ومنهم العلماء، ومنهم العُبّاد، وبلغت نسبتهم ٨٨٪ من مجتمع الدراسة، كما أن منهم المجروحين المقدوح في دينهم أو عقلهم، وبلغوا ١٢٪ من مجتمع الدراسة.

ثامنًا - مدى توقف الحياة العلمية للمؤلفين الذين أتلفوا كتبهم

لم يتوقف غالبية المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم عن حياتهم العلمية، إنما توقف القليل منهم؛ إذ كشفت الدراسة عن أن الذين استمروا في حياتهم العلمية بلغت نسبتهم

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٦، ص٣١٢.
(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٨، ص٣٣.
(٣) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٣٦٨.
(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٣٨.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣١١.
(٦) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج١، ص١٨٧.
(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤.
(٨) المرجع السابق، ج٢، ص١٠٥
(٩) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٧٤.
(١٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٣٩.
(١١) الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص٣٧٣.
(١٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.

٧٩٪، وهي نسبة كبيرة؛ وذلك لأن بعضهم أتلف مؤلفاته عند موته، أو أوصى بإتلافها بعد موته، وبعضهم توقف قليلاً عن حياته العلمية ثم رجع بعد ذلك، وبعضهم أتلف مؤلفات مجال علمي واستمرت حياته العلمية في مجالات أخرى، والبعض الآخر كان إتلافه بغرض تدعيمه علميًا وتقويةً لملكة الحفظ لديه. أما الذين أتلفوا مؤلفاتهم وتوقفوا عن حياتهم العلمية فلم تتعدَّ نسبتهم ٢١٪ من مجتمع الدراسة.

وقد انقسم المؤلفون الذين أتلفوا مؤلفاتهم حيال استمرار حياتهم العلمية إلى قسمين:

القسم الأول: استمرت حياتهم العلمية

١- لأن الإتلاف كان عند موته أو بعده بتوصية منه، ومعناه أن حياته العلمية استمرت طوال حياتهم، ولم تتوقف إلا بالموت، وبلغ عددهم واحدًا وعشرين مؤلفًا، يمثلون ٣١٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عبيده بن عمرو السلماني الذي دعا "بكتبه عند موته فمحاها"(١)، وأبو قلابة الجرمي الذي قال في مرض موته: "ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان حيًا، وإلا فاحرقوها"(٢)، والحسن البصري الذي قال لابنه لما ثقل عليه المرض "اجمعها لي، فجمعتها له، وما ندري ما يصنع بها، فأتيته بها، فقال للخادم: استجري التنور، ثم أمر بها فأحرقت"(٣)، وشعبة بن الحجاج الذي قال لابنه: " إذا أنا مت فاغسل كتبي وادفنها، فلما مات غسلت كتبه ودفنتها"(٤)، وسفيان الثوري الذي "أوصى أن تدفن كتبه"(٥)، وعبد الله بن المبارك الذي ذكره صاحب النكت على مقدمة ابن صلاح، بقوله: "جماعة دفنوا كتبهم منهم... عبد الله بن المبارك"(٦)، أي في نهاية حياتهم، وعيسى بن يونس الذي قال: "إني لأهم بها أن أحرقها، يعني كتبه"(٧)، ويحيى بن يحيى الذي "لو عاش سنتين لذهب حديثه، فإنه إذا شك في حديث أرسله، هذا في بدء أمره، ثم صار إذا شك في حديث تركه، ثم صار يضرب عليه من كتابه"(٨)، أي أنه أتلف كتبه قبل أن

(١) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦١؛ سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٣.
(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧٥.
(٤) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٦١؛ والأصبهاني: حلية الأولياء، ج٧، ص٣٨؛ وابن الملقن: طبقات الأولياء، ج١، ص٥.
(٦) ابن بهادر: النكت على مقدمة ابن الصلاح، ج٣، ص٥٦١.
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٥.

يموت بأقل من سنتين، وإسحاق بن راهوية الذي "تغير قبل موته بخمسة أشهر"[١]، ومجاهد بن موسى الذي "جاء يومًا ومعه طبق، فقال هذا بقي، وما أراكم تروني بعدها، فحدثنا به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك"[٢]، وأبو كريب الهمداني الذي "أوصى بكتبه أن تدفن، فدفنت"[٣]، ومحمد بن يحيى الذهلي الذي قال عنه أبو عمرو المستملي: "دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء"[٤]، وأحمد بن الطيب قبل إعدامه "أحرق كتبه كلها إلا الحديث والفقه واللغة والشعر"[٥]، ومحمد بن عمر الجعابي الذي "أوصى بأن تحرق كتبه، فأحرق جميعها"[٦]، وأبو سعيد السيرافي الذي "أوصى ابنه بأن يجعل مكتبته طعمة للنار"[٧]، وأبو حيان التوحيدي الذي "أحرق كتبه في آخر عمره"[٨]، والماوردي الذي أوصى صديقًا له أن يتلف كتبه بعد موته إن هو قبض يده عند الاحتضار[٩]، وأبو غالب الذهلي الذي "غسل ذلك قبل موته"[١٠] أي كتبه، وأحمد بن يحيى الذي أنشأ قصائد مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم، و"أوصى أن تدفن معه"[١١]، وإبراهيم بن الغرس الذي "كان يقول: إذا عاينت الموت ألقيتها في البحر، وكما قال"[١٢]، وآخرهم علي بن طلحة الذي "صنف كتابًا كبيرًا في إعراب القرآن، كان يقارب خمسة عشر مجلدًا، ثم بدا له فيه، ففسله قبل موته"[١٣].

٢- لأنه رجع لحياته العلمية بعد توقف مؤقت، وقد بلغ عددهم خمسة عشر مؤلفًا، يمثلون ٢٢,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: طاووس بن كيسان الذي "كان إذا اجتمعت عنده الرسائل أمر بها فأحرقت"[١٤]، وأبو عمرو بن العلاء الذي "رجع إلى علمه الأول لم

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٧٧.
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٦٥.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٩٦.
(٤) المرجع السابق، ج١٢، ص ٢٧٨ .
(٥) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص ٣٦٨.
(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٣١.
(٧) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩، ص١٦.
(٨) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢، ٣٨٤.
(١٠) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص٢٧.
(١١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(١٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.
(١٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٨٢.
(١٤) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩، ص١٦.

يكن عنده إلا ما حفظه"[١]، ومحمد بن عبيد الله العرزمي الذي "دفن كتبه، فلما كان بعد ذلك حدّث"[٢]، وهشيم بن بشير الذي طلب منه صاحبه أبو إسحاق أن يرى بعض الأحاديث التي كتبها، فقال: "أرني الكتاب، فأخرجه، فخرقه"[٣]، واستمر في طلب الحديث وروايته، ولم يرد عنه أنه ترك التحديث، وعلي بن مسهر الذي قال عنه عبد الله ابن نمير "كان يجيئني علي بن مسهر فيسألني كيف حديث كذا،..وكان قد دفن كتبه"[٤]، وعطاء بن مسلم الخفاف الذي "دفن كتبه، ثم جعل يحدّث فيخطئ"[٥]، ويوسف بن أسباط الذي "دفن كتبه، فحدّث بعدُ من حفظه"[٦]، وعبد العزيز بن عمران الذي "دفن كتبه، ثم إنه تتبع الأحاديث بعدُ من الناس فنسخها"[٧]، ومؤمل بن إسماعيل الذي "دفن كتبه، ثم حدّث بعدُ، فدخل الوهم في حديثه"[٨]، وسلم بن ميمون الخواص الذي "دفن كتبه وكان يحدّث من حفظه فيغلط"[٩]، وأحمد بن محمد الخلال الذي كان "يرمى بالحديث مدة، ثم يرجع فيكتب"[١٠]، وأبو طالب الكرخي الذي "كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستًا ويغسله"[١١]، والنووي الذي كان من عادته أنه "إذا أملى اللوح على تلاميذ غمسه في الماء، ثم كتب غيره"[١٢]، وآخرهم صدر الدين بن الوكيل الذي "كان إذا مرض غسل ما نظمه من الشعر"[١٣].

٣- لأنه أتلف كتبًا معينة، واستمرت حياته في مجالات علمية أخرى، وقد بلغ عددهم تسعة مؤلفين يمثلون ١٤٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عروة بن الزبير الذي قال عنه ابنه: "أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له"[١٤]، والشافعي الذي "غسل كتبه

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٢٣٧.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٨.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٢٦.
(٤) ابن معين: تاريخ ابن معين، ج٤، ص٤٤.
(٥) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص١٧٨٨.
(٦) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٩، ص٤٢٠.
(٧) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩.
(٨) ابن رجب: جامع العلوم، ج١، ص٥.
(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٤، ص٢٦٧.
(١٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.
(١١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٦.
(١٢) الباتلي: علماء احترقت كتبهم، ص٤١.
(١٣) الصفدي: أعيان العصر، ج١، ص ٣٧٣.
(١٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.

القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها"[١]، وزيد بن المبارك الذي "لزم عبد الرزاق، فأكثر عنه، ثم خرق كتبه، ولزم محمد بن ثور"[٢]، وعبد الله بن سلم المقدسي الذي قال: "فحملت كتاب يونس بن يزيد الذي كتبته عن حرملة فحرقته بين يديه لأرضيه، وليتني لم أحرق، فلم يرد ولم يحدثني"[٣]، أي أنه أحرق الأحاديث التي سمعها من شيخ معين فقط، وعلي بن عيسى الربعي الذي "أخذ شرح سيبويه وجعله في إجانة وصب عليه الماء وغسله"[٤]، ومحمد بن المطلب الذي "قال شعرًا كثيرًا، إلا أنه كان كثير الهجوم، ثم مال عن ذلك، وأكثر الصوم والصلاة والصدقة وروى الحديث...، وغسل مسودات شعره"[٥]، وشميم الحلي الذي قال: "عملت مقامات مرتين، فلم ترضني، فغسلتها"[٦]، والسيوطي الذي قال عن نفسه وهو في سن الخمسين: "بلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتابًا، سوى ما غسلته ورجعت عنه"[٧]، وأما مؤلفاته كلها فقد "فاقت عدتها على خمسمائة مؤلف"[٨]، والشنقيطي الذي استمرت حياته العلمية ولم يتوقف بعد الإتلاف، إذ أن الكتاب الذي أتلفه كان قبل سنه البلوغ، "وبعد البلوغ دفنه"[٩]، وألَّف بعد ذلك كتبًا كثيرة.

٤ – لأن الإتلاف كان بغرض تدعيمه علميًا، وقد بلغ عددهم سبعة مؤلفين، يمثلون ١٠,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم مسروق بن الأجدع الذي كان يقول "إنما أريد أن أحفظها، ثم أحرقها"[١٠]، ومحمد بن سيرين الذي كان "يكتب الحديث، فإذا حفظه محاه"[١١]، وابن شهاب الزهري الذي كان "يكتب الحديث في تلك القطعة، ثم يقرؤه، ثم يمحوه "[١٢]، وخالد الحذاء الذي قال عن نفسه "ما كتبت شيئاً قط، إلا حديثًا طويلاً، فلما حفظته محوته"[١٣]، وهشام بن حسان الذي قال: "ما كتبت للحسن وابن سيرين قط

(١) العيني: عمدة القاري، ج١٦، ص٤٩٠.
(٢) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٣، ص١١٠ .
(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص١٩٥ .
(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤ .
(٥) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص٢٤.
(٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٤٥.
(٧) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص١١١.
(٨) السيوطي: العرف الوردي، ج١، ص٤٩.
(٩) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص ٤٧٩.
(١٠) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٨، ٥٩.
(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٩٥.
(١٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٩.
(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص١٩٢.

إلا حديث الأعمال؛ لأنه طال علي فكتبته، فلما حفظته محوته"[١]، وعاصم بن ضمرة الذي "كان يسمع الحديث ويكتبه، فإذا حفظه دعا بمقراض فقرضه"[٢]، وعبد الرحمن ابن سلمة الجمحي الذي "كان يكتب الحديث، فإذا حفظه محاه"[٣].

القسم الثاني: توقفت حياتهم العلمية

إذ تركوا التعلم والتعليم، وأقبلوا على العبادة، واعتزلوا الناس، وبلغ عددهم أربعة عشر مؤلفًا، يمثلون ٢١٪ من مجتمع الدراسة، وهم: داود بن نصير الذي "عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات، ثم أقبل على العبادة وتخلى"[٤]، وضيغم بن مالك الذي " دفن كتبه"[٥]، وتفرغ للعبادة، فكان ورده "كل يوم أربعمائة ركعة"[٦]، ومحمد بن يوسف بن معادن الذي دفن كتبه، "وأقبل على التوحد والتعبد وآثر الخمول "[٧]، والمطلب بن زياد الذي "دفن كتبه وقال: لا يصلح قلبي عليها"[٨]، والحسن بن رودبار الذي "دفن كتبه، وقال: لا يصلح قلبي على الحديث"[٩]، ومحمد بن المهذب الذي "نسك، وترك قول الشعر، وخرق ديوانه، ولازم منزله ومسجده"[١٠]، وأبو سليمان الداراني الذي "ألقى كتبه في تنور، وأضرم فيها النار، وقال أثناء ذلك: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك"[١١]، وبشر بن الحارث الذي "أقبل على العبادة واعتزل الناس فلم يحدّث"[١٢]، وأحمد بن أبي الحواري الذي "رمى كتبه في البحر فغرقها، وقال لم أفعل هذا تهاونًا بك، ولا استخفافًا بحقك، ولكن كنت أكتب لأهتدي بك إلى ربي، فلما اهتديت بك إلى ربي استغنيت عنك"[١٣]، وموسى بن هرون الذي كان "إذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة، ويقول

(١) المزي: تهذيب الكمال، ج٣، ص١٨٦.
(٢) الرامهرمزي: المحدث الفاصل، ج١، ص٣٨٢.
(٣) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ج١، ص٨١٠.
(٤) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٢١.
(٦) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص٣٥٧.
(٧) ابن حيان: طبقات المحدثين بأصبهان، ج١، ص٢٩٧.
(٨) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٢٨٢.
(٩) المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٤.
(١٠) ابن ماكولا: الإكمال، ج٧، ص٢٤٤.
(١١) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩، ص١٦.
(١٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١، ص٨٩.
(١٣) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ج١، ص٩٠.

لقد أديته"[١]، وأبو بكر الشبلي الذي أتلف كتبه، وكان يقول: "نعم الدليل أنتم، ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال"[٢]، وأبو سعيد بن أبي الخير الذي "جمع كتبه كلها وأحرقها، ثم آوى إلى ركن في بيته، وجلس فيه،... وزاد عدة أساليب من الزهد والتقشف"[٣]، وأبو إسحاق الغزي الذي "ترك قول الشعر،... وكان يقول: إني لأرجو أن يعفو الله عني"[٤]، وعبد الله الإلهي الذي "غلبت عليه داعية الترك"[٥].

وهكذا تبين أن أغلب المؤلفين - بما يساوي ٧٩٪ - لم يتوقفوا عن حياتهم العلمية، ومن ثم لم تؤثر ظاهرة إتلاف بعض المؤلفين لكتبهم التأثير السلبي الكبير في النتاج الفكري للحضارة الإسلامية.

(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص٢٨٨.

(٢) الإستانبولي: تفسير روح البيان، ج٢، ص٤٢١.

(٣) ديورانت: موسوعة قصة الحضارة، ج١٤، ص٨٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥-١٦.

(٥) طاشكبري زادة: الشقائق النعمانية، ج١ ، ص١٥٢.

تاسعًا - نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها ما يلي:

١ - نتائج عامة

لم يكن لظاهرة الإتلاف أثر بالغ في تدمير الإنتاج الفكري للعلماء المسلمين، أو في القدح في الحضارة الإسلامية؛ فلم يزد عدد حالات الإتلاف وفق هذه الدراسة عن ست وستين حالة، مقارنة بمئات الآلاف من علماء المسلمين الذين لم يتلفوا مؤلفاتهم، كما أن الكثير من الكتب التي أُتلفت وصلت إلينا عن طريق طلابهم الذين تلقوها من شيوخهم سماعًا، إضافة إلى أن ٧٩٪ من المؤلفين الذي أتلفوا مؤلفاتهم لم يتوقفوا عن حياتهم العلمية.

٢ - نتائج خاصة بالمؤشرات الزمنية للظاهرة

بدأت ظاهرة الإتلاف ضعيفة في القرن الأول الهجري، ثم وصلت إلى ذروتها في القرن الثاني، ثم تراجع مؤشر الإتلاف قليلاً في القرن الثالث، وتراجع أكثر في القرن الرابع والخامس، وأخذ في التراجع أكثر في القرن السادس، ثم أخذت الظاهرة في الضعف والتلاشي منذ القرن السابع، حتى اختفت تمامًا في القرون: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، والخامس عشر الهجري.

٣ - نتائج خاصة بمبررات الإتلاف

١ - انقسمت مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم إلى مبررات علمية، تمثلت في الرجوع عما فيها، والخوف من تحريفها بعد مماتهم. ومبررات شرعية، تمثلت في الرغبة في التفرغ للعبادة، وعدم الرغبة في اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى، والتبرك بدفنها معه. ومبررات نفسية، تمثلت في خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، واتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص لله تعالى، والإصابة بمرض الاكتئاب. ومبررات اجتماعية، تمثلت في الضن بها على المجتمع، وإرضاء شيخ آخر ليحدثه.

٢ - أكثر مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم كان "الرغبة في التفرغ للعبادة"، إذ كان مبررًا لـ ٢٧٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، تلاه "الرجوع عما فيها" لـ ٢٠٪، ثم "الخوف من تحريفها بعد موتهم" لـ ١٨٪، بينما كان "الخوف من الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ" مبررًا لـ ١٢٪، تلاه "الضن بها على غيرهم" لـ ٩٪، ثم "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها" بنسبة ٦٪، وأما باقي المبررات وهي: عدم اتخاذ

كتاب مع كتاب الله، والاكتئاب الشديد، وكلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق، وليرضي شيخًا آخر، والتبرك بدفنها ـ فلم يكن أيٌ منها مبررًا لأكثر من ١,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة.

٤ - نتائج خاصة بطرق الإتلاف

١ - لم يقتصر المؤلفون في إتلاف مؤلفاتهم على طريقة واحدة للإتلاف، بل تعددت هذه الطرق من تخصص علمي لآخر، ومن حقبة زمنية لأخرى، بل أحيانًا من مؤلف لمؤلف آخر في نفس التخصص وفي نفس الحقبة الزمنية، ووصلت طرق الإتلاف إلى سبع طرق، كان أكثرها استخدامًا الدفن؛ إذ استخدمه ٣٠٪ من مجتمع الدراسة، ثم الحرق؛ الذي استخدمه ٢٠٪، وتلاه الغسل؛ الذي استخدمه ١٨٪، ثم الإغراق ١٤٪، وتلاه المحو ١١٪، ثم التخريق ٦٪، بينما كان التقريض أقل طرق الإتلاف استخدامًا؛ إذ استخدمه ١,٥٪ فقط من مجتمع الدراسة.

٢ - اختلفت طرق الإتلاف عبر الزمن؛ فكان المحو أكثر الطرق استخدامًا في القرن الأول الهجري، والدفن أكثر الطرق استخدامًا في القرون: الثاني، والثالث، والرابع عشر، بينما كان الحرق والإغراق أكثرها استخدامًا في القرن الرابع، في حين كان الغسل أكثرها في القرون: الخامس، والسادس، والسابع، والعاشر.

٣ - انقسمت طرق الإتلاف وفقًا للوسيلة المستخدمة في الإتلاف إلى أربعة أقسام، هي: الإتلاف بالنار، والإتلاف بالدفن، والإتلاف بالماء، والإتلاف بالتمزيق، كما انقسمت وفقاً لدرجة الإتلاف التي تلحقها بالمؤلفات إلى أربعة أقسام، هي: طرق تكفل الحفاظ على ما كُتب وما كُتب عليه، وطرق لإتلاف ما كُتب مع الحفاظ على المادة المكتوب عليها، وطرق يمكن بعدها استرجاع ما كُتب بجهد بسيط، والاستفادة من المادة المكتوب عليها بخسارة قليلة، وأخيراً طرق لتدمير ما كُتب وما كُتب عليه.

٤ - ٨٦,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة طريقة واحدة في الإتلاف، واستخدم ٧,٥٪ من المؤلفين طريقتين في الإتلاف، وأما الـ٦٪ الباقية فقد اختلفت الروايات في طريقتهم في الإتلاف.

٥ - لا علاقة بين مبرر الإتلاف وطريقة الإتلاف؛ فداخل المبرر الواحد تم استخدام أكثر من طريقة، والطريقة نفسها تم استخدامها في أكثر من مبرر.

٥ - نتائج خاصة بالتخصصات العلمية لمن أتلف كتبه

١ - انقسم المؤلفون الذين أتلفوا مؤلفاتهم وفق تخصصهم العلمي إلى: محدِّثين، ولغويين، وفقهاء، ومتصوفة، وفلاسفة، ومؤرخين، ومفسرين.

٢ - أكثر فئة علمية أتلفت كتبها هم المحدِّثون؛ إذ بلغت نسبتهم ٥٥٪ من مجتمع الدراسة، تلاهم اللغويون بنسبة ١٥٪، ثم الفقهاء بنسبة ١٣,٥٪، تلاهم المتصوفة بنسبة ١٠,٥٪، ثم الفلاسفة بنسبة ٣٪، بينما كانت أقل فئة علمية إتلافًا هم المؤرخون، والمفسرون؛ إذ بلغت نسبة كل منهما ١,٥٪ فقط من مجتمع الدراسة.

٦ - نتائج خاصة ببلدان المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم

١ - أكثر جنسية أتلفت هم العراقيون؛ إذ بلغت نسبتهم ٥٣٪ من المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم، تلاهم الشاميون بنسبة ١٥٪، ثم الفارسيون بنسبة ١٣,٥٪، تلاهم المصريون، والمدنيون بنسبة ٤٪ لكل منهما، ثم اليمنيون بنسبة ٣٪، بينما كانت أقل جنسية أتلفت هم الأتراك والموريتانيون؛ إذ بلغت نسبة كل منها ١,٥٪ من مجتمع الدراسة.

٧ - نتائج خاصة بقدر وشأن من أتلف كتبه

لم يكن للمؤلفين الذي أتلفوا مؤلفاتهم نفس القدر والشأن؛ فقد كان منهم العلماء، ومنهم العُبَّاد، ومنهم العلماء العُبَّاد، وهم الأكثر؛ إذ بلغت نسبتهم ٨٨٪، بينما كان القليل منهم مجروحين مقدوحًا في دينهم أو عقلهم؛ وبلغوا ١٢٪ من مجتمع الدراسة.

عاشرًا: دراسات مقترحة

بعد دراسة موضوع "إتلاف المؤلفين المسلمين لكتبهم" تبين أن هناك موضوعات يمكن تناولها بالبحث والدراسة، منها:

١- إتلاف المؤلفين لكتبهم بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى.

٢- إتلاف السلطة للكتب عبر مراحل الحضارة الإسلامية.

٣- مصادرة الكتب في الحضارة الإسلامية.

٤- تدمير المكتبات في الحضارة الإسلامية: دراسة للأسباب والنتائج.

قائمة المصادر والمراجع

١ - إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار؛ تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة، ٢٠٠٥ م.

٢ - أحمد بن عبد الله الباتلي، علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار، الرياض: دار طويق، ٢٠٠٢ .

٣ - الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان. القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

٤ - الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني، تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروى حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م .

٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٦ - ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الجرح والتعديل. ط١ . حيدر آباد الدكن. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢ .

٧ - ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة. تحقيق: محمد عوامة، جدة: دار القبلة، ٢٠٠٦م .

٨ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، الضعفاء والمتروكين. تحقيق: عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

٩ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ط١ . بيروت: دار صادر، ١٣٥٨هـ.

١٠ - تلبيس إبليس. تحقيق: أيمن صالح. القاهرة: دار الحديث ٢٠٠٣.

١١ - صفة الصفوة. تحقيق محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي. ط٢ . بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩ .

١٢ - صيد الخاطر. تحقيق السيد محمد السيد ،سيد إبراهيم. القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩.

١٣ - ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح. تحقيق: عائشة عبد الرحمن. القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٠ .

١٤ . ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ

حلب. تحقيق: سهيل زكار. دمشق: دار البعث، ١٩٨٨، بغية الطلب في تاريخ حلب.

١٥ . ابن العطار، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة. عمّان: الدار الأثرية، ٢٠٠٧ .

١٦ . ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط. دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٦ .

١٧ . ابن الملقن، سراج الدين حفص عمر بن على احمد المصري، طبقات الأولياء. تحقيق: نور الدين شريبة. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤ .

١٨ . ابن بهادر، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله الزركشي الشافعي المصري، النكت على مقدمة ابن الصلاح. تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج. ط١ . الرياض: أضواء السلف، ١٩٩٨ .

١٩ . ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرري بردي الأتابكي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. وضع التراجم: عجلان بن نعير بن منصور، فيروز شاه بن نصر شاه؛ تحقيق: محمد محمد أمين. القاهرة: دار الكتب المصرية. ١٩٩٩ .

٢٠ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣ .

٢١ . ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، الثقات. تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٧٥ .

٢٢ . المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. تحقيق: محمود إبراهيم زايد. دمشق: دار الوعي، ١٩٨١ .

٢٣ . ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإيثار بمعرفة رواة الآثار. تحقيق سيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

٢٤ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد ضان. حيدر آباد الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢ .

٢٥ . تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس. تحقيق: عاصم بن

عبدالله القريوني. عَمّان: مكتبة المنار، ط ١، ١٩٨٤.
٢٦ . تقريب التهذيب. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٥ .
٢٧ . تهذيب التهذيب. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١. ١٩٨٤.
٢٨ . فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
٢٩ . لسان الميزان. تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٣، ١٩٨٦ .
٣٠ . ابن حيان، محمد عبيد الله بن محمد بن جعفر، طبقات المحدثين بأصبهان و الواردين عليها. دراسة وتحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشى. بيروت: مؤسسه رسالة، ١٩٩٢ .
٣١ . ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٩٤ .
٣٢ . ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم. تحقيق: ماهر ياسين الفحل. دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠٨ .
٣٣ . ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، ١٩٩٤ .
٣٤ . ابن شاهين، أبو حفص عمر بن شاهين، تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، الكويت: الدار السلفية، ١٩٨٤ .
٣٥ . ابن شبة، أبو زيد عمر النميري البصري، تاريخ المدينة المنورة. تحقيق: علي محمد دندل، ياسين سعد الدين بيان. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ .
٣٦ . ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد معوض؛ تقديم: محمد عبد المنعم البري. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ .
٣٧ . ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. دراسة وتحقيق: علي شيري. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨ .
٣٨ . ابن عمار، أبو الفضل محمد بن أبي الحسين ابن عمار الشهيد، علل

الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج. تحقيق: علي بن حسن الحلبي، الرياض: دار الهجرة، ط١، ١٩٩١ .

٣٩ . ابن فرحون ،إبراهيم بن نور الدين المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ .

٤٠ . ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، طبقات الشافعية. تحقيق: الحافظ عبد العليم خان. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٤١ . ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، البداية والنهاية. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري. القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨ .

٤٢ . ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى. ط١ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

٤٣ . ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين، تاريخ ابن معين رواية الدارمي. تحقيق: أحمد محمد نور سيف. دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ.

٤٤ . ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. الرياض: مكتبة الرشد،١٩٩٠ .

٤٥ . ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. تحقيق: مأمون الصاغرجى، أحمد حمامي، روحية النحاس رياض عبد الحميد مراد؛ مراجعة: رياض عبد الحميد مراد،محمد مطيع الحافظ. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٨.

٤٦ . الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المالكي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح. تحقيق: أبو لبابة حسين. الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦م.

٤٧ . البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، التاريخ الصغير. تحقيق: محمود إبراهيم زايد؛ فهرس أحاديثه يوسف المرعشي. بيروت: دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٨٦ .

٤٨ . التاريخ الكبير. تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.

٤٩ . ـ. الضعفاء الصغير. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦ .

٥٠ . البغدادي، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد. تحقيق: كمال يوسف الحوت. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

٥١ . البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف. تحقيق: محمود الفردوس العظم. دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٩٨ .

٥٢ . الجرجاني، أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد، الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق: يحيى مختار غزاوي. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨ .

٥٣ . الحموي، أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١ .

٥٤ . الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري اليمني، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٦هـ.

٥٥ . الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المتفق والمفترق. دراسة وتحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي. دمشق: دار القادري، ١٤١٧هـ.

٥٦ . تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ .

٥٧ . تقييد العلم. تحقيق يوسف العش. القاهرة: دار إحياء السنة النبوية، ط١ ١٩٧٤ .

٥٨ . الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. تحقيق وتعليق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١٩٩٢ .

٥٩ . تذكرة الحفاظ. دراسة وتحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨ .

٦٠ . سير أعلام النبلاء أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٩٩٣ .

٦١ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ .

٦٢ . ـ. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ .

٦٣ . الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. تحقيق: محمد عجاج الخطيب. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ.

٦٤ . الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ .

٦٥ . الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد. نصب الراية لأحاديث الهداية، مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي. قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري. صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها: محمد يوسف الكاملفوري. تحقيق: محمد عوامة. بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٧ .

٦٦ . الزيلعي، فخر الدين عثمان بن على الحنفي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣ .

٦٧ . السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.

٦٨ . السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. القاهرة: مكتبة القدس، ١٩٣٤ .

٦٩ . السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية. تحقيق: نور الدين شيبة. القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٦.

٧٠ . السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، إسعاف المبطأ برجال الموطأ. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٩ .

٧١ . العَرْفُ الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي. تحقيق: أبي يعلى البيضاوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ .

٧٢ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. صيدا: المكتبة العصرية، ط٢، ١٩٧٨ .

٧٣ . حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. القاهرة: مكتبة الخانجى، ٢٠٠٧.

٧٤ . الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٩٥ .

٧٥ . الشيرازي، أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، طبقات الفقهاء. تحقيق: إحسان عباس . بيروت: دار الرائد العربي، ط ١، ١٩٨١ .

٧٦ . الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك، الوافي بالوفيات. تحقيق: مجموعة من العلماء. بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠ .

٧٧ . أعيان العصر وأعوان النصر. تحقيق: علي أبو زيد. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨ .

٧٨ . الصيرفيني، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور. تحقيق: خالد حيدر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع. ١٤١٤هـ.

٧٩ . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ .

٨٠ . العتمي، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مطبعة المعارف، ١٩٦٦ .

٨١ . العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي، معرفة الثقات. تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي. المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٩٨٥ .

٨٢ . العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي، الضعفاء الكبير. حققه ووثقه: عبد المعطى أمين قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ .

٨٣ . العيني، بدر الدين أبو محمد بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨٠ .

٨٤ . الغزي الحنفي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري، الطبقات السنية في تراجم الحنفية. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو؛ إشراف: محمد توفيق عويضة. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٠ .

٨٥ . الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. تحقيق: محمد المصري. الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٨٦ . القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، جامع بيان العلم وفضله. دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي. بيروت: مؤسسة الريان، ٢٠٠٣ .

٨٧ . المروزي، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، التحبير في المعجم الكبير. تحقيق: منيرة ناجي سالم. بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، ط ١، ١٩٧٥ .

٨٨ . المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٠ .

٨٩ . المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ. القاهرة: المطبعة البهية المصرية، ١٩٢٧ .

٩٠ . المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، مختصر الكامل في الضعفاء. تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي. القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٩٤ .

٩١ . النووي، أبو زكريا محيى الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت. دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ .

٩٢ . الهيثمي، الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان المصري، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.

٩٣ . حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨.

٩٤ . حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب، ط ٢، ١٩٧٨ .

٩٥ . ديورانت، ول دايريل، موسوعة قصة الحضارة. ترجمة: عبد الحميد يونس؛ مراجعة: سعيد اللخام. بيروت: دار نوبلس، ٢٠٠٨ .

٩٦ . شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم والشرق الأقصى . القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط ٣، ٢٠٠٣ .

٩٧ . طاشكبري زادة، أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٥ .

٩٨ . عبد الستار عبد الحق الحلوجي. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ .

٩٩ . عدنان الشمري. لماذا أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه. الفيصل. ع ٣٤٨ (يوليو/ أغسطس ٢٠٠٥)، ص٣٠ .

١٠٠ . عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩ .

١٠١ . فوزية محمد الجلال، الكتب وفكر الإبادة. أحوال المعرفة. س ٨، ع ٣٠ (سبتمبر ٢٠٠٣)، ص٥٢ .

١٠٢ . محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٨٦ .

١٠٣ . ناصر الحزيمي. حرق الكتب في التراث العرب: مسرد تاريخي. . كلونيا (ألمانيا): منشورات دار الجمل، ٢٠٠٣ .

١٠٤ . وسام منير عبد الرحمن الزغبي، مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري. إشراف: شعبان عبد العزيز خليفة، محمود عباس حمودة. رسالة ماجستير في تخصص الآداب قسم المكتبات. _جامعة الأزهر. كلية الدراسات الإنسانية. قسم الوثائق والمكتبات. شعبة المكتبات. ٢٠٠٧ . رسالة مجازة غير منشورة.

١٠٥ . يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ .